

مواعظ رمضانية

إعداد

أبي عمر المندراوي

توزيع



دار الخلفاء الراشدين

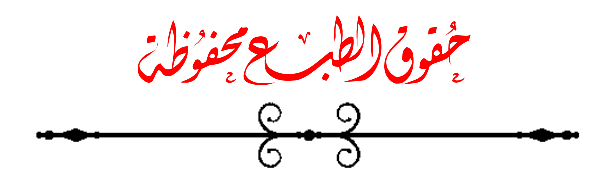
الإسكندرية أبو سليمان ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٠٥٠١٣١٥١



دار الفتح الإسلامي

الإسكندرية مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١١١٥٢٢٤١٦٠





اسم الكتاب: مواعظ رمضانية

اسم المؤلف: أبو عمر المنذراوي

عدد الصفحات: ١٦٠ صفحة

رقم الإيداع:



الإسكندرية: أبو سليمان – ش عمر أمام مسجد الخلفاء الراشدين

الإدارة: ٠١٠٠٦٧١٤٧٦٨ – المبيعات: ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،

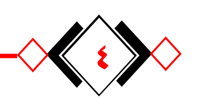
أما بعد؛

فهذه ثلاثون موعظة يستعين بها الدعاة إلى الله في ليالي رمضان، موزعة ومرتبة بما يتناسب مع أيام وليالي الشهر الفضيل.

أسأل الله أن يبلغنا ويبارك لنا في رمضان
وأن يجعلنا من عتقاءه من النار ومن المقبولين

كتبه

أبو عمر المنداروي





الموعظة الأولى

أول ليلة من رمضان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**»

[رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني].

أخي الحبيب:

هناك وفي مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي كل عام، كانت تُزف البشرى لأولئك الأطهار مِن أصحابه، فها هو النبي صلى الله عليه وسلم يزفها إليهم -وهي إليك أنتَ كذلك في كل عام-: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ عز وجل عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ**

الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ» [رواه أحمد والنسائي، وصححه الألباني].

- قال الإمام ابن رجب رحمه الله: «هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضًا بشهر رمضان، كيف لا يبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان؟! كيف لا يبشر المذنب بغلق أبواب النيران؟! كيف لا يبشر العاقل بوقت يُغل فيه الشيطان؟!».

أخي... تلك هي البشرى التي عمل لها العاملون، وشمر لها المشمرون، وفرِح بقدومها المؤمنون.

أخي... يا لبشرى مَن أدرك شهر رمضان!

يا لبشرى المدركين لشهر الغفران!

يا لبشرى المدركين لشهر الرحمات!

يا لبشرى المدركين لشهر القرآن!

يا لبشرى المدركين لموسم الطاعات!

يا لبشرى المدركين لأيام كساها رب العباد مهابة وبهاءً وجمالاً!

أخي... هل علمتَ أن السلف كانوا يدعون الله -تعالى- زمانًا طويلاً ليبلغهم أيام «شهر رمضان»؟!

قال معلَّى بن الفضل رحمه الله: «كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم!».

وقال يحيى بن أبي كثير رحمه الله: «كان مِن دعائهم: اللّٰهم سلمني إلى رمضان، وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلاً».

أخي... وها أنت قد بلغتَ رمضان، وها أنت سلمك ربك إلى رمضان؛ فماذا أنت فيه فاعل؟!

أخي... ينقسم الناس في رمضان إلى فريقين في استقباله والعمل فيه:

فالفريق الأول: هم الذين اقتدوا بالسلف الصالح، فاتخذوا رمضان موسمًا لطاعة الله ومضاعفة الخيرات؛ صاموا نهاره فأحسنوا الصيام، وقاموا ليله فأحسنوا القيام، أولئك الذين انتفعوا برمضان حق الانتفاع.

والفريق الآخر: لم ينتفعوا برمضان ولم يستفيدوا مما فيه مِن صيام وقيام! لماذا؟!

لأن الله جعل الصيام للقلب والروح؛ فجعلوه للبطن والمعدة!

ولأن الصيام جعله الله للحلم والصبر؛ فجعلوه للغضب والبطش!

ولأن الصيام جعله الله للسكينة والوقار؛ فجعلوه شهر السِباب والشِجار!

ولأن الصيام جعله الله ليغيروا مِن صفات أنفسهم؛ فما غيروا إلا مواعيد أكلهم وشربهم وشهواتهم!

ولأن الصيام جعله الله تهذيبًا للغني الطاعم، ومواساة للبائس المحروم الجائع؛ فجعلوه مَعْرَضًا لفنون الأطعمة والأشربة؛ يزداد الغني فيه تخمة والفقير حسرة!

فقل لي يا أخي بالله عليك...

أي الفريقين أحق بأن تفتح له أبواب الجنان، وتسد عنه أبواب النيران؟!

أي الفريقين قد صفدت شياطينه؟! ومَن منهم أحق بنفحات الرحمن؟!

أي الفريقين يرجى له العتق مِن النار، ويدرك رحمة العزيز الغفار؟!

أخي الحبيب . . .

في ختام الحديث أهدى إليك بعض الوسائل لاستغلال شهر الخيرات مجملة، وسنفصلها معك في المواعظ القادمة -إن شاء الله-.

١ -تأكيد التوبة وتعاهدها طوال شهر رمضان.

٢- الحرص على ختم القرآن في رمضان مرة على الأقل.

٣- المحافظة على صلاة الجماعة في أول الوقت في الصلوات الخمس.

٤- المحافظة على جميع سنن الصلوات «الراتبة وغير الراتبة».

٥- صيانة الجوارح؛ لا سيما اللسان عن الوقوع فيما يتعارض مع الصيام.

٦- الاشتغال بذكر الله طوال اليوم لتكون مِن الذاكرين الله كثيرًا.

٧ - المكث في المسجد والسعي إليه كلما استطعت إلى ذلك سبيلاً؛ لتضمن منزلاً في الجنة.

٨ - الحرص على التصدق كل يوم وأنت صائم، ولا تحقرن مِن المعروف شيئًا.

٩ - اجتهد في أن تصوم رمضان مرتين بتفطير الصائمين.

١٠ - اعتكف العشر الأواخر لتحري ليلة القدر «سنة عن النبي ﷺ».

١١- اجتهد في تحصيل أسباب رزقك وأولادك مِن أول الشهر؛ لتتفرغ للعبادة في العشر الأواخر.

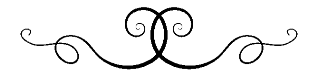
١٢ - انتهِ مِن الأمور الدنيوية المتعلقة بالعيد ونحو ذلك هذه الأيام إن لم تكن قد انتهيت منها.

١٣ - مسابقة لأهل بيتك متنوعة، لها جوائز يوم العيد.

١٤ - اعتمر في رمضان إن استطعت؛ فإنها تعدل حجة مع النبي ﷺ.

وهناك وسائل غيرها يأتي الحديث عنها في المواعظ القادمة -إن شاء الله-.

فاللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك في هذا الشهر الفضيل.





الموعظة الثانية
شهر التوبة والغفران

أخي الحبيب:

هذا شهر الغفران؛ فاحذر مِن أن تجعله شهر الخسران!

هذا شهر محو الذنوب؛ فاستغث بمولاك مِن العيوب.

هذه أيام الإنابة فيها تفتح أبواب الإجابة.

هذه أيام قال عنها النبي ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» [متفق عليه].

- هذه أيام خاب وخسر مَن أدركها، ولم يخرج منها مغفور الذنب!

قال النبي ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ أَوْ أَحدهمَا فَلَم يدْخلاهُ الْجَنَّة**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

- هذه أيام نزل مِن أجلها سيد الملائكة جبريل عليه السلام إلى سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، ليشاركه الدعاء على مَن عاش هذه الأيام وخرج منها غير مغفور الذنب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغفر لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ. فَقُلْتُ: آمِينَ»** [رواه الطبراني وابن حبان، وصححه الألباني].

- أخي... إذا جعلنا الكلام السابق نصب أعيننا وملء قلوبنا؛ استشعرنا الحاجة الشديدة للفوز برمضان، وأن أول ما يجب أن نقدمه لذلك هو «التوبة» نعم... فالتوبة هي بداية الطريق الصحيح للفوز برمضان.

- أخي... يحدِّثنا القرآن الكريم عن التوبة، فيقول ربنا -تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

وكم أسرفنا... وكم فرطنا...!

- ويحدِّثنا النبي العدنان ﷺ عن التوبة فيقول: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**» [رواه مسلم].

- ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يوشك أن يسقط عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذبابة يهشها بيده هكذا!».

- وقال سفيان الثوري رحمه الله: «جلستُ يومًا أحصى ذنوبي؛ فإذا هي آلاف»، فجعل يقول: «يا سفيان، تقف بيْن يدي الله فيسألك عن آلاف الذنوب؟! ماذا ستقول؟! والله ليسقطن لحم وجهك خجلاً وأنت تعرض قبائحك على الله! يا سفيان، هذا ما تذكرته؛ فكيف بما أحصاه الله ونسيته أنتَ؟!».

- فيا أخي... هل حاولت أن تجلس إلى نفسك وتتذكر ذنوبك التي فعلتها؟!

هل حاولت أن تحدِث توبة مِن قبْل أن يأتي يوم قال ربك عنه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:٣٠].

- أخي.. فلنسارع بالتوبة، وقد تأكدت في شهر التوبة.

- أخي.. هيا قُم إلى التوبة النصوح التي أمر الله بها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

- ثم اعلم -رحمني الله وإياك- أن للتوبة شروطًا ثلاثة لا بد منها:

- **أولها:** الندم.

- **ثانيها:** الإقلاع على الذنب.

- **ثالثها:** العزم على عدم العودة.

أخي.. أذكر لك شيئًا مِن قصص التائبين إلى الله، وكيف صدقوا في توبتهم، فيسَّر الله لهم أسباب الفلاح والنجاة.

- توبة عابد بني إسرائيل:

جاء في الأثر: «أن رجلاً مِن بني إسرائيل عبد الله عشرين سنة، ثم عصى الله عشرين سنة، فنظر يومًا إلى وجهه في المرآة، وقد رأى الشيب في رأسه، فقال: يا رب أطعتك عشرين سنة، ثم عصيتك عشرين سنة... أتراك تقبلني إذا عدت؟ فوجد أن جرمه

شديد، فنام على تلك الحال، فرأى في المنام مَن يناديه: «عبدي أطعتنا فقربناك، ثم عصيتنا فأمهلناك، وإن عدت إلينا قبلناك».

- توبة في «مرقص!»:

قصة ذكرها الشيخ «علي الطنطاوي» في بعض كتبه، فقال: «دخلتُ أحد مساجد مدينة (حلب) فوجدتُ شابًا يصلي، فقلتُ: سبحان الله! إن هذا الشاب مِن أكثر الناس فسادًا؛ يشرب الخمر، ويفعل الزنا، ويأكل الربا، وهو عاقٌّ لوالديه وقد طرداه مِن البيت؛ فما الذي جاء به إلى المسجد؟! فاقتربتُ منه وسألته: أنت فلان؟! قال: نعم. قلتُ: الحمد لله على هدايتك. أخبرني كيف هداك الله؟! قال: هدايتي كانت على يد شيخ وعظنا في مرقص! قلتُ -مستغربًا!: في مرقص؟! قال: نعم. في مَرقص! قلت: كيف ذلك؟!

قال: هذه هي القصة... فأخذ يرويها فقال: كان في حارتنا مسجد صغير، يؤم الناس فيه شيخ كبير السن، وذات يوم التَفَتَ الشيخ إلى المصلين وقال لهم: أين الناس؟! ما بال أكثر الناس وخاصة الشباب لا يقربون المسجد ولا يعرفونه؟!

فأجابه المصلون: إنهم في المراقص والملاهي. قال الشيخ: وما هي المراقص والملاهي؟! ردَّ عليه أحد المصلين: المرقص صالة كبيرة فيها خشبة مرتفعة تصعد عليها الفتيات عاريات أو شبه عاريات يرقصنَ والناس حولهن ينظرون إليهن! فقال الشيخ: والذين ينظرون إليهن مِن المسلمين؟ قالوا: نعم. قال: لا حول وقوة إلا بالله! هيا بنا إلى تلك المراقص ننصح الناس. قالوا له: يا شيخ! أين أنت... تعظ الناس وتنصحهم في المرقص؟! قال: نعم!

حاولوا أن يثنوه عن عزمه وأخبروه أنهم سَيُوا جَهون بالسخرية والاستهزاء وسينالهم الأذى فقال: وهل نحن خير من محمد ﷺ ؟!

وأمسك الشيخ بيد أحد المصلين ليدله على المرقص. وعندما وصلوا إليه سألهم صاحب المرقص: ماذا تريدون؟! قال الشيخ: نريد أن ننصح مَن في المرقص. تعجب صاحب المرقص وأخذ يمعن النظر فيهم ورفض السماح لهم، فأخذوا يساومونه ليأذن لهم حتى دفعوا له مبلغًا مِن المال يعادل دخله اليومي.

وافق صاحب المرقص، وطلب منهم أن يحضروا في الغد عند بدء العرض اليومي، قال الشاب: فلما كان الغد كنت موجودًا بالمرقص، بدأ الرقص مِن إحدى الفتيات، ولما انتهت أسدل الستار ثم فتح؛ فإذا بشيخ وقور يجلس على كرسي فبدأ بالبسملة، وحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله ﷺ ثم بدأ في وعظ الناس الذين أخذتهم الدهشة وتملكهم العجب وظنوا أن ما يرونه هو فقرة فكاهية، فلما عرفوا أنهم أمام شيخ يعظهم أخذوا يسخرون منه ويرفعون أصواتهم بالضحك والاستهزاء وهو لا يبالي بهم، واستمر في نصحه ووعظه حتى قام أحد الحضور وأمرهم بالسكوت والإنصات حتى يسمعوا ما يقوله الشيخ. قال: فبدأ السكون والهدوء يخيم على أنحاء المرقص حتى أصبحنا لا نسمع إلا صوت الشيخ، فقال كلامًا ما سمعناه مِن قبْل، تلا علينا آيات مِن القرآن الكريم وأحاديث نبوية وقصصًا لتوبة بعض الصالحين.

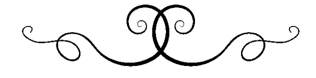
وكان مما قاله: أيها الناس، إنكم عشتم طويلاً وعصيتم الله كثيرًا، فأين ذهبت لذة المعصية؟! لقد ذهبت اللذة وبقيت

الصحائف سوداء ستسألون عنها يوم القيامة، وسيأتي يوم يهلك فيه كل شيء إلا الله ﷻ.

أيها الناس، هل نظرتم إلى أعمالكم إلى أين ستؤدي بكم، إنكم لا تتحملون نار الدنيا وهي جزء مِن سبعين جزءًا مِن نار جهنم؛ فكيف بنار جهنم؟! بادروا بالتوبة قبل فوات الأوان.

قال: فبكى الناس جميعًا، وخرج الشيخ مِن المرقص، وخرج الجميع وراءه، وكانت توبتهم على يده حتى صاحب المرقص تاب وندم على ما كان منه».

فاللهم اجعلنا من التوابين، والحمد لله رب العالمين.



الموعظة الثالثة

فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**» [متفق عليه].

فاعلم -يا أخي- أن فتح أبواب الجنة في رمضان حقيقة لا تحتاج إلى تأويل، وهذه نعمة عظيمة ومنَّة كريمة مِن الله يتفضَّل بها على عباده في هذا الشهر، فأبواب الجنة مغلقة لا تفتح إلا في تمام النعمة.

قال ابن القيم رحمه الله في قوله -تعالى-: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣]: «أما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته، ومحل خواصه وأوليائه، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة فيرغبون إلى صاحبها

ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولي العزم مِن رسله، وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم ﷺ فيقول: أنا لها فيأتي إلى تحت العرش، ويخر ساجدًا لربه فيدعه ما شاء الله أن يدعه ثم يأذن له في رفع رأسه وأن يسأل حاجته، فيشفع إليه -سبحانه- في فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها؛ تعظيمًا لخطرها، وإظهارًا لمنزلة رسوله ﷺ وكرامته عليه.

وإن مثل هذه الدار التي هي دار ملك الملوك ورب العالمين إنما يدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها مِن حين عقل العبد في هذه الدار إلى أن انتهى إليها، وما ركبه من الأطباق طبقاً بعد طبق، وقاساه مِن الشدائد شدة بعد شدة حتى أَذِنَ الله -تعالى- لخاتم أنبيائه ورسله، وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم، وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة، وحصول الفرح والسرور مما يقدر بخلاف ذلك؛ لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله مَن شاء، فجنة الله عالية غالية بيْن الناس، وبينها مِن العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تُنال إلا به» اهـ.

وهنا يدرك الإنسان قيمة فتح أبواب الجنة في رمضان.

فيا عجبًا لمن يعلم أن الجنة فوقه موجودة تُزخرف، وتفتح أبوابها في رمضان ثم لا يشتاق إليها ويسعى لها على الأجفان، قال النبي ﷺ: «**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

قال ابن القيم رحمه الله: «قدر السلعة يُعرف بقدر مشتريها، والثمن المبذول فيها، والمنادي عليها، فإذا كان المشتري عظيمًا، والثمن خطيرًا، والمنادي جليلاً؛ كانت السلعة نفيسة» اهـ.

فيا أخي... ها هي السلعة النفيسة، قد نادى عليها خير منادي، فإذا أردتَ أن تكون عظيمًا فابذل الثمن، واقتد بمن سبق.

- ها هو عمار بن ياسر رضي الله عنه يوم اليمامة، وهو واقف على صخرة يصيح: «يا معشر المسلمين، أمن الجنة تفرون؟! أنا عمار بن ياسر، هلم إليَّ...».

- وها هو أنس بن النضر رضي الله عنه بلغ مَن يقينه بالجنة، واقترابه منها بروحه أن شم رائحتها يوم أُحد؛ فلم يصبر

عنها، فقاتل حتى قُتل؛ فقد لقيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو ينطلق كالريح نحو صفوف المشركين، والساعة حرجة فقال: «إلى أين يا أنس؟» قال: «إلى الجنة، إني أجد ريح الجنة مِن وراء أُحد!».

- وها هو سعد بن خثيمة رضي الله عنه البار بأبيه يتوقف بره بأبيه عندما يتعلق الأمر بالجنة، وعندما يَطلب منه أبوه أن يقعد عن القتال يقول: «لو كانت غير الجنة لآثرتك بها، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا!».

- وها هو حرام بن ملحان رضي الله عنه يصيح فور أن يقتل: «فزت ورب الكعبة!»، وكأنه رأى الجنة على طرف السيف الذي قُتل به!

- وها هو عمرو بن الجموح رضي الله عنه يصر على القتال حتى بعد أن عذره الله بعرجته؛ طلبًا للتنزه في أرجاء الجنة قائلاً: «أحب أن أطأ بعرجتي الجنة!».

- وها هو أبو الدرداء رضي الله عنه يشتكي، وحين يعوده أصحابه في مرضه ويسألونه: «ما تشتهي؟»، يقول: «أشتهي الجنة!».

أخي..

إنها الجنة... التي اشتاق إليها الصالحون مِن هذه الأمة.

إنها الجنة... دار كرامة الرحمن، فهل مِن مشمر إليها.

إنها الجنة... فاعمل لها بقدر شوقك إليها.

فوا عجبًا لها... كيف نام طالبها؟!

وكيف لم يسمع بمهرها في رمضان خاطبها؟!

كيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها؟!

إنها الجنة... دار الموقنين بوعد الله، المجتهدين في ليل رمضان، الصائمين نهاره، المطعمين عباد الله، وهذا مِن موجبات الجنة.

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلانَ الْكَلامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ وَصَلَّى وَالنَّاسُ نِيَامٌ**» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

فحيَّ على جنات عدن فإنها منازلُك الأُولى وفيها المخيم

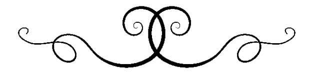
ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم

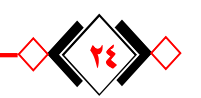
فلله أبصار ترى الله جهرة فلا الحزن يغشاها ولا هي تسأم

فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة أمِن بعدها يسلوا المحب المتيم

أحبتنا عطفًا علينا فإننا بنا ظمأ والمورد العذب أنتم

فاللهم إنا نسألك الجنة، وما يقرِّب منها مِن قول وعمل.





الموعظة الرابعة
وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ» [متفق عليه].

اعلم -يا أخي- أن غلق أبواب النار في رمضان حقيقة لا تحتاج إلى تأويل، وهذه نعمة عظيمة ومنَّة كريمة مِن الله، يتفضَّل بها على عباده في هذا الشهر؛ فأبواب النار مفتَّحة طوال العام، لا تُغلق إلا في رمضان، قال رسول الله ﷺ: «... فَصَلِّ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الصَّلاةَ مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الصُّبْحَ ثُمَّ أَقْصِرْ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَتَرْتَفِعَ قِيسَ رُمْحٍ أَوْ رُمْحَيْنِ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَيُصَلِّي لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الصَّلاةَ مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ، حَتَّى يَعْدِلَ الرُّمْحُ ظِلَّهُ، ثُمَّ أَقْصِرْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ تُسْجَرُ وَتُفْتَحُ أَبْوَابُهَا، فَإِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ فَصَلِّ مَا شِئْتَ...» [رواه أبو داود، وصححه الألباني].

وقال الله -تعالى-: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧١].

- **إنها النار...** التي رآها رسول الله ﷺ يحطم بعضها بعضًا، والتي قال عنها لما رآها: «**أُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ**» [متفق عليه]، وقال عنها ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**» قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ**» [رواه مسلم].

- **إنها النار...** التي لما خلقت؛ فزعت الملائكة حتى طارت أفئدتها!

قال ميمون بن مهران رحمه الله: «لما خلق الله جهنم أمرها فزفرت زفرة فلم يبقَ في السماوات السبع مَلَك إلا خر على وجهه، فقال لهم الجبار: ارفعوا رؤوسكم، أما علمت أني خلقتكم لطاعتي وعبادتي، وخلقت جهنم لأهل معصيتي مِن خلقي».

- **إنها النار...** التي ينغمس فيها أنعم أهل الدنيا لحظة، فتنسيه كل نعيم رآه!

قال النبي ﷺ : «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النارِ صَبْغَةً ثمَّ يُقَال: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ» [رواه مسلم].

- **إنها النار...** التي أعد الله فيها مِن العذاب الشديد لأهلها ما أعد!

قال الله -تعالى-: ﴿ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴾ [غافر:٧١]، وقال الله -تعالى-: ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴾ [الحج:٢١]، وقال الله -تعالى-: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴾ [الحاقة]، وقال -تعالى-: ﴿ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ [المزمل]، وقال -تعالى-: ﴿ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴾ [المعارج]، وقال -تعالى-: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴾ [المدثر]، وقال -تعالى-: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾ [القارعة].

- أخي... هل سمعت عن حسرة أهل النار وندمهم، ودعائهم على أنفسهم بالويل والثبور وهم يعذبون في النار؟!

فعندما يرى أهل النار النار يندمون اشد الندم، ولات ساعة مندم: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس:٥٤].

- وعندما يَصلى أهل النار النار يدعون على أنفسهم بالويل والهلاك: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان].

- وهناك يعلو صراخهم ويشتد عويلهم، ويدعون ربهم آملين أن يخرجهم من النار: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾.

[فاطر:٣٧]

- وهم يعترفون في ذلك الوقت بضلالهم وكفرهم وقلة عقولهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك].

- ولكن طلبهم يُرفض بشدة، ويجابون بما تستحق أن تجاب به الأنعام: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون].

- لقد حق عليهم القول وساروا إلى المصير الذي لا ينفع معه دعاء ولا يُقبل فيه رجاء: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة].

- ويتوجَّه أهل النار بعد ذلك بالنداء إلى خزنة النار، يطلبون منهم أن يشفعوا لهم كي يخفف الله عنهم شيئًا مما يعانونه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر].

- وعند ذلك يسألون الشفاعة كي يهلكهم ربهم: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

- إنه الرفض لكل ما يطلبون... لا خروج مِن النار، ولا تخفيف مِن عذابها، ولا إهلاك، بل هو العذاب الأبدي! ويقال لهم آنذاك: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦].

- هناك يشتد نحيبهم، وتفيض دموعهم، ويطول بكاؤهم: قال النبي ﷺ: **«إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَبْكُونَ، حَتَّى لَوْ أُجْرِيَتِ السُّفُنُ فِي دُمُوعِهِمْ لَجَرَتْ، وَإِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ الدَّمَ!»** [رواه الحاكم، وحسنه الألباني].

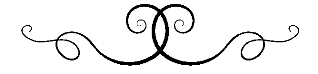
- لقد خسِر هؤلاء الظالمون أنفسهم وأهليهم عندما استحبوا الكفر على الإيمان، واستمع إلى عويلهم وهم يرددون حال العذاب: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ۝٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ۝٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب].

- فيا أيها الغافل عن نفسه... دع التفكُّر فيما أنتَ مرتحل عنه، واصرف الفكر إلى موردك؛ فإنك أُخبرتَ بأن النار مورد

الجميع إذ قال الله -تعالى-: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، فأنتَ على الورود على يقين، ومِن النجاة في شك؛ فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد، فعساك تستعد للنجاة منه.

فيا عجبًا ندري بنارٍ وجنة
وليس لذي نشتاق أو تلك نحذر
إذا لم يكن خوف وشوق
فماذا بقي فينا مِن الخير يذكر؟!

فاللهم اكتبنا مِن عتقائك مِن النار في رمضان.



الموعظة الخامسة

وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**» [متفق عليه].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ عز وجل عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**» [رواه أحمد والنسائي، وصححه الألباني].

أخي.. اعلم أن تصفيد مردة الشياطين حقيقة لا تحتاج إلى تأويل، وهذه نعمة عظيمة، ومنَّة كريمة مِن الله عز وجل، يتفضَّل بها على عباده في هذا الشهر المبارك.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «فإن قيل كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيرًا، فلو صفدت الشياطين لم

يقع ذلك؟ فالجواب: أنها إنما تغل عن الصائمين بالصوم الذي حوفظ على شروطه وروعيت آدابه.

- أو المصفد بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم، كما تقدم في بعض الروايات.

- أو المقصود تقليل الشرور فيه، وهذا أمر محسوس، فإن وقوع ذلك فيه أقل مِن غيره؛ إذ يلزم مِن تصفيد جميعهم أن لا يقع فيه شر ولا معصية، لأن لذلك أسبابًا غير الشياطين كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة» اهـ.

فيا أخي.. هذه شياطين الجن قد كُفت عنك، فلا تعتل بهم في ترك الطاعة، ولا فعل المعصية، ولكي تعلم فضل هذه النعمة في رمضان، تعالَ معي ننظر إلى بعض الوسائل التي يستخدمها الشيطان في إضلال الإنسان في سائر الأزمان.

١- تزيين الباطل: كما قال اللعين لرب العزة: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر].

ومن ذلك: «تسمية الأمور المحرمة بأسماء محببة»: كما سمَّى الشجرة المحرمة بشجرة الخلد كي يزين لآدم عليه السلام الأكل منها، وكما يسمون الرقص والتمثيل والغناء الماجن «فنًّا!».

٢- **أخذ العباد إلى الإفراط والتفريط:** فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو.

٣- **تثبيط العباد عن العمل ورميهم بالتسويف والكسل:** قال بعض الصالحين: «أنذرتكم سوف، فإنها أكبر جنود إبليس!».

٤- **التدرج في الإضلال:** فيأخذ العبد إلى الهاوية، درجة درجة، ولعل في قصة «برصيصا» عابد بني إسرائيل العبرة في ذلك.

٥- **تخويف المؤمنين أولياءه:** قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

٦- **دخوله إلى النفس مِن الباب الذي تهواه:** ومِن هنا دخل إلى آدم وحواء عليهما السلام لما وجد منهما إيناسًا وركونًا إلى الخلد.

٧- **إلقاء الشبهات:** كأن يشكك المسلم في مسَلَّمات دينه وأصول اعتقاده، ونحو ذلك.

٨- **الخمر والميسر والأنصاب والأزلام:** قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠].

٩- **السحر.**

١٠- **النساء.**

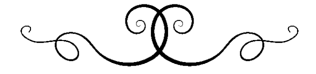
١١- **حب الدنيا.**

١٢- **الغناء والموسيقى.**

أخـــي... هــل استــشعرت هــذه النعمــة: (وَصُــفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ)؟!

فـإذا استـشعرت ذلـك؛ فقـم إذن واعمـل في هـذا الـشهر الكريم، فإنها فرصتك التي ربما لا تدركها مرة أخرى.

فاللهم إنا نعوذ بك مِن شياطين الإنس والجن.



الموعظة السادسة

رمضان شهر القرآن

قال الله -تعالى-: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أنزل القرآن جملة مِن الذكر، في ليلة أربع وعشرين من رمضان، فجُعل في بيت العزة»، وعنه رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» [متفق عليه].

قال ابن رجب رحمه الله: «دل الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان، والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على مَن هو أحفظ له، وفيه دليل على استحباب الإكثار مِن تلاوة القرآن في شهر رمضان».

وقال صاحب الظلال: «والقرآن كتاب هذه الأمة الخالد، الذي أخرجها مِن الظلمات إلى النور فأنشأها هذه النشأة، وبدلها مِن خوفها أمنًا، ومكَّن لها في الأرض، ووهبها مقوماتها التي بها صارت أمة، ولم تكن مِن قبْل شيئًا، وهي بدون هذه المقومات ليست أمة، وليس لها مكان في الأرض، ولا ذكر في السماء؛ فلا أقل مِن شكر الله على نعمة هذا القرآن بالاستجابة إلى صوم الشهر الذي نزل فيه القرآن».

يا أخي.. كان النبي ﷺ إذا جاء رمضان؛ أشعر أمته بأنه شهر القرآن، فكان يحتفي بالقرآن احتفاءً خاصًّا يتميز عن سائر السنة، حيث يدرس القرآن مع مَن نزل عليه به؛ جبريل عليه السلام.

وفي حديث ابن عباس -المتقدَّم- أن الدراسة بينه ﷺ وبيْن جبريل عليه السلام كانت ليلاً؛ فيدل على استحباب الإكثار مِن التلاوة في رمضان ليلاً، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، ويجتمع فيه الهم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر، كما قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦].

فيا أخي.. اعلم -رحمني الله وإياك- أن: تلاوة القرآن مِن أعظم أنواع التجارة مع الله.

ألم تسمع إلى قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر].

واعلم... أن تلاوة القرآن هي وصية رسول الله ﷺ، وعلو شأنك في الأرض وفي السماء: استمع إلى قول النبي ﷺ: «**أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الإِسْلامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ، وَذِكْرُكَ فِي الأَرْضِ**» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

أخي... كان السلف -رحمهم الله- إذا دخل رمضان أقبلوا على القرآن، وتركوا سائر العلوم.

- كان الزهري إذا أقبل رمضان يتوقف عن التحديث، ويقول: «إنما هو لتلاوة القرآن، وإطعام الطعام».

- وروي عن بعض السلف أنهم كانوا يختمون القرآن في رمضان ثلاثين ختمة!

- وأن بعضهم كان له ستون ختمة؛ وذلك لبركة الزمان، وإن كان الأولى موافقة هدي النبي ﷺ في قوله: «**لَمْ يَفْقَهْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاث**» [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني]، فهيا نقبل في رمضان على كتاب الله قراءة وتدبرًا وعملاً.

وإليك بعض آداب قراءة القرآن ليكتمل الفضل ويعظم الأجر:

- يستحب للقارئ أن ينظف فمه، ويستقبل القبلة ويجلس متخشعًا بسكينة ووقار.

- إذا أراد القراءة، تعوذ وجهر بها: قال الله -تعالى-: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨].

- إذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر والخضوع، فهو المقصود، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب: قال الله -تعالى-: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: ٢٩]، وقد كان جماعة مِن السلف يردد أحدهم الآية جميع ليلته أو معظمها!

- ويسن تحسين الصوت بالقراءة؛ لقوله ﷺ: «**مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ**» [متفق عليه].

. ويستحب البكاء عند القراءة مِن غير أن يتكلفه: قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء].

- ويستحب ترتيل القرآن: قال الله -تعالى-: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

- ويستحب إذا مرَّ بآيه رحمة أن يسأل الله -تعالى- مِن فضله، وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ من العذاب أو من الشر ونحو ذلك؛ لثبوته عن النبي ﷺ.

- ويستحب طلب القراءة مِن حَسَن الصوت والإصغاء إليها؛ لثبوته عن النبي ﷺ.

- استحب بعض العلماء افتتاح مجلس حديث رسول الله ﷺ بقراءة قارئ حسن الصوت ما تيسر مِن القرآن.

- ينبغي للقارئ أن يبتدئ مِن أول السورة، أو مِن أول الكلام المرتبط، ويقف على آخرها، أو آخر الكلام المرتبط بعضه ببعض.

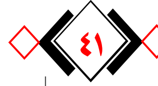
- إذا ختم القرآن فيستحب له أن يكون في يومه صائمًا؛ فقد استحب جماعة من السلف أن يختم القراءة بالدعاء صائمًا، فقد ثبت عن أنس رضي الله عنه: «أنه كان إذا أراد الختم جمع أهله ودعا».

- فيا أخي... هيا بنا في شهر القرآن نغتنم الحسنات الكثيرة، ونُقبِل على القرآن، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُولُ: آلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلْفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»** [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

- هيا بنا في شهر القرآن، ننال عز الدنيا والآخرة بقراءة القرآن، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»** [رواه مسلم].

- هيا بنا في شهر القرآن ننال حصانة القرآن يوم القيامة بتلاوة القرآن، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ»** [رواه مسلم].

- هيا بنا في شهر القرآن نأخذ بأسباب الرقي في الجنة يوم القيامة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تقرؤها»** [رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وصححه الألباني].



الموعظة السابعة

شهر القيام والتراويح

قال النبي ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [متفق عليه]، وقال ﷺ: «افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ» [رواه الطبراني في الكبير، وحسنه الألباني].

فيا أخي... هذا رمضان موسم مِن أعظم مواسم الطاعات، بل هو أعظم مواسم الطاعات في أيام الدهر، وإن الناصح لا يجعل هذه المواسم تخرج عنه عطلاً، بل يتعرض لإحسان مولاه، ويعمل في رضاه؛ عله تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدًا.

فيا مَن طالت غيبته عن مولاه؛ قد أقبلتْ أيامُ المصالحة!

يا مَن دامت خسارته؛ قد أقبلت أيام التجارة الرابحة!

فهيا إلى القيام في رمضان... فها هي الفرصة سانحة!

- روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ رَمَضَانَ شَدَّ مِئْزَرَهُ، ثُمَّ لَمْ يَأْتِ فِرَاشَهُ حَتَّى يَنْسَلِخَ» [رواه ابن خزيمة، وقال الألباني: «إسناده صحيح؛ لولا عنعنة المطلب بن عبد الله»].

- ويا أخي إن آيات القرآن وكلمات الرسول العدنان لتخبرنا عن فضل قيام الليل، وتشوقنا إليه: قال الله -تعالى-: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة].

- وبيَّن الله سبحانه وتعالى صفات المتقين وأن مِن أعظمها: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧].

- وذكر -سبحانه- صفات «عباد الرحمن» العظيمة وأن منها: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٤].

- وبيَّن سبحانه وتعالى أن مِن أول ما فُرض على نبيه صلى الله عليه وسلم مِن العبادات، كان قيام الليل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [المزمل].

- وأخبرنا النبي ﷺ بأن قيام الليل سبب لمحبة العلي الجليل، فقال ﷺ: «**ثَلاثَةٌ يُحِبُّهُمْ اللهُ، وَيَضْحَكُ إِلَيهِمْ، وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمُ: الَّذِي إذا انكَشَفَتْ فِئَةٌ قاتَلَ وَراءَها بِنَفْسِهِ للهِ** ﷻ **فإمَّا أَنْ يُقتَلَ، وإِمَّا أَن يَنْصُرَهُ اللهُ** ﷻ **ويَكفِيهِ فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هذا كَيفَ صَبَرَ لِي بِنَفسِه؟ والَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حسنةٌ، وَفِراشٌ لَيِّنٌ حَسنٌ، فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ فيقولُ: يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَيَذْكُرُني، وَلَوْ شاءَ رَقَدَ، والَّذِي إِذَا كانَ في سَفَرٍ، وَكانَ مَعَهُ رَكْبٌ فَسَهِرُوا ثُمَّ هَجَعُوا، فَقامَ مِن السَّحَرِ في ضَرّاءَ وَسَرّاءَ**» [رواه الطبراني في الكبير، وحسنه الألباني].

- وأخبرنا النبي ﷺ أن قيام الليل سبب لحصول أربع جوائز عظيمة: قال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

- وأخبرنا النبي ﷺ أن قيام الليل، سبب في نيل الغرف العالية في الجنة: قال ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَلانَ الْكَلامَ،**

وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نيام» [رواه أحمد والبيهقي، وحسنه الألباني].

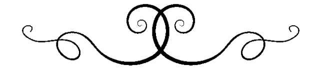
أخـي.. اعلـم أن القيـام في رمـضان يتميز عـلى غـيره، فهو شهر التراويح وهي التي سنها النبي ﷺ، وأحياها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَمَضَانَ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَتِ السَّادِسَةُ لَمْ يَقُمْ بِنَا، فَلَمَّا كَانَتِ الْخَامِسَةُ قَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ نَفَّلْتَنَا قِيَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ. قَالَ فَقَالَ: (إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى ينْصَرِف حسب لَهُ قيام اللَّيْلَة). قَالَ: فَلَمَّا كَانَت الرَّابِعَة لم يقم فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ جَمَعَ أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ وَالنَّاسَ فَقَامَ بِنَا حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلاحُ. قَالَ قُلْتُ: وَمَا الْفَلاحُ؟ قَالَ: السَّحُورُ. ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا بَقِيَّةَ الشَّهْرِ. [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني].

- وعن عبد الرحمن بن عبد القاري رحمه الله أنه قال: «خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى المَسْجِدِ، فَإِذَا

النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلاَتِهِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلاَءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ، لَكَانَ أَمْثَلَ. ثُمَّ عَزَمَ، فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ» [رواه البخاري تعليقًا، ووصله الإمام مالك وغيره بسندٍ صحيح].

وعن أبي إسحاق الهمداني قال: «خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أول ليلة مِن رمضان، والقناديل تزهر في المساجد، وكتاب الله يُتلى، فجعل ينادي: «نوَّر الله لك يا ابن الخطاب في قبرك كما نورت مساجد الله بالقرآن».

فيا إخوان.. هيا نحيي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أحياها عمر رضي الله عنه، فننورُ المساجد بالصلاة والقيام، وننور البيوت بالتهجد والناس نيام.





الموعظة الثامنة
شهر الذكر الكثير

قال الله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله»، فقال: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ﴾ [النساء: ١٠٣]، بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال» [تفسير الطبري].

وقال الله -تعالى-: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب].

ولذلك كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ» [رواه مسلم].

فيا أخي... هل علمتَ أجر مَن كان مكثرًا مِن ذكر الله عز وجل؟

فإليك بعض ما جاء في أجره وفضله:

١- للذاكرين عند الله المغفرة والأجر العظيم: قال الله -تعالى-: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٢- للذاكرين علو فضلهم وذكرهم عند ربهم: قال الله -تعالى- في الحديث القدسي: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ**» [متفق عليه].

٣- للذاكرين القرب مِن الله عز وجل: قال النبي ﷺ: «**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ**» [رواه مسلم].

٤- للذاكرين مِن العمل خيره وأزكاه: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذهبِ والوَرِقِ، وخيرٍ لكم مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ» [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ عَجَزَ مِنْكُمْ عَنِ اللَّيْلِ أَنْ يُكَابِدَهُ، وَبَخِلَ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَجَبُنَ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ اللهِ» [رواه الطبراني والبيهقي، وقال الألباني: صحيح لغيره].

٥- للذاكرين أجر صدقة بغير مال: قال النبي ﷺ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى» [رواه مسلم]. **سُلامَى:** قال النووي رحمه الله: «أصله عظام الأصابع وسائر الكف، ثم اُستعمل في جميع عظام البدن ومفاصله».

يا أخي... إن فضائل الذكر لا نستطيع أن نحصيها في مجلسنا هذا، وإن شئت فارجع إلى كتب أهل العلم في هذا

الباب فستجد ما ذكروه في ذلك قد بلغ ما يقرب المائة في عدِّ فضائل الذكر.

يا أخي... اعلم أن الذكر لم يقتصر على كونه عبادة الإنسان والملائكة والجان فقط، بل هو وحده عبادة جميع الكائنات مِن أرض وسماء، وشجر ومدر، وجماد ونبات، قال الله -تعالى-: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٤].

فالسموات تسبِّح، والأرض تسبح، والجبال تسبح، والطعام، والنمل، والحيتان في البحر، والخيل والطير... الكل يسبِّح ويذكر الله -تعالى-.

- فأما «السموات والأرض» فقد قال الله فيهما: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١]، وقال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٤].

- وأما «الجبال» فقد قال الله -تعالى- في حقها: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]،

وقال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّي إِلاَّ لَبَّى مَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ مِن حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ حَتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا» [رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني].

- وأما «الرعد» فقد قال الله -تعالى-: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

- وأما «الطعام» فقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ» [رواه البخاري].

- وأما «الحيتان» فقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْبَحْرِ» [رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني].

- وأما «النمل» فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

- وأما «الخيل» فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَسٍ عَرَبِيٍّ إِلا يُؤْذَنُ لَهُ مَعَ كُلِّ فَجْرٍ يَدْعُو بِدَعْوَتَيْنِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ

خَوَّلْتَنِي مَنْ خَوَّلْتَنِي مِنْ بَنِي آدَمَ، فَاجْعَلْنِي مِنْ أَحَبِّ أَهْلِهِ وَمَالِهِ إِلَيْهِ، أَوْ أَحَبَّ أَهْلِهِ وَمَالِهِ إِلَيْهِ» [رواه أحمد والنسائي، وصححه الألباني].

- وأما «الطير» فقد قال الله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

- وها هو «الهدهد» يغضب لله ويدعو لتوحيده: قال: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥].

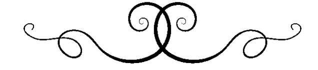
- أخـــي... هيا إلى أحب الأعمال وأحسن الخاتمة: قال النبي ﷺ: «أحبُّ الأعْمالِ إِلَى الله أَن تَمُوتَ ولِسانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ الله» [رواه ابن حبان، وحسنه الألباني].

- أخـــي... هيا إلى أحب ما يأخذه الإنسان مِن الدنيا للآخرة: قال النبي ﷺ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلا ذِكْرَ اللَّهِ، وَمَا وَالاهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا» [رواه الترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني].

- أخي... هيا إلى إنقاذ قلوبنا مِن الموت: قال النبي ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ» [متفق عليه].

- أخي... هذا موسم شريف، يحتاج منك إلي عمل شريف، وإن الذكر لأشرف الأعمال.

فاللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك.





الموعظة التاسعة
رمضان شهر الدعاء المستجاب

قال الله -تعالى-: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أخي... إن مِن أعظم ما يدل على أن أعظم ما يكون مِن الدعاء ما كان في حال الصيام هو أن الله -تعالى- ذكر آية الدعاء العظيمة هذه بيْن آيات الصيام وأحكامه.

قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: «هذا التفات عن خطاب المؤمنين كافة بأحكام الصيام، إلى خطاب الرسول ﷺ بأن يذكِّرهم ويعلمهم ما يراعونه في هذه العبادة وغيرها مِن الطاعة والإخلاص، والتوجه إليه وحده بالدعاء الذي يُعِدُّهُمْ للهدى والرشاد».

- فيا أخي... هذا شهر الدعاء المستجاب؛ فاجتهد فيه بالزيادة عن غيره: قال النبي ﷺ: «**ثلاثُ دَعَواتٍ مُسْتَجاباتٌ:**

دَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُظْلُومِ، ودَعْوَةُ الْمُسافِرِ» [رواه البيهقي، وصححه الألباني].

- ويا أخي... انظر إلى عجيب كرم الله -تعالى-؛ إنه يغضب إذا لم تطلب منه وتسأله! قال الله -تعالى-: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنعام: ٤٣]، وقال النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يغضبْ عَلَيْهِ» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

- وقال الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله

وبني آدم حين يُسأل يغضب

- فيا أخي... هذا زمن شريف، وأنت على حال شريف؛ فأكثر فيه السؤال والدعاء، فإن ذلك مِن دواعي الإجابة.

- ولقد عيَّن لنا الصادق المصدوق ﷺ الأوقات والأحوال التي يستجاب فيها الدعاء، ومنها:

١- وقت النزول الإلهي: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**» [رواه مسلم].

٢- **في السجود:** قال النبي ﷺ : «وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ» [رواه مسلم].

٣- **عند الأذان:** قال النبي ﷺ : «إِذا نادَى المُنادِي فُتِحَتْ أبْوابُ السَّماءِ، واسْتُجِيبَ الدُّعاءُ» [رواه الحاكم، وصححه الألباني].

٤- **بين الأذان والإقامة:** قال رسول الله ﷺ : «الدُّعاءُ بَيْنَ الأَذانِ والإِقامَةِ مُسْتَجابٌ فادْعُوا» [رواه أبو يعلى في مسنده، وصححه الألباني].

٥- **عند نزول المطر:** قال النبي ﷺ : «اطْلُبُوا اسْتِجابَةَ الدُّعاءِ عنْدَ الْتقاءِ الجُيُوشِ، وإِقامَةِ الصَّلاةِ، ونُزُولِ الغَيْثِ» [أخرجه الشافعي في الأم، والبيهقي في المعرفة، وصححه الألباني].

٦- **آخر ساعة من يوم الجمعة:** قال النبي ﷺ : «يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، لا يُوجَدُ فِيهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلا آتَاهُ إِيَّاهُ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ» [رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وصححه الألباني].

٧- **دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب:** قال النبي ﷺ : «دُعَاءُ الأَخِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ لا يُرَدُّ» [رواه البزار، وصححه الألباني].

٨ - دعوة المظلوم.

٩- دعوة المسافر.

١٠- دعوة الوالد على ولده.

قال النبي ﷺ: «**ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ**» [رواه أحمد والترمذي، وحسنه الألباني].

- أخي... قد علَّمنا الصادق المصدوق ﷺ آدابًا للدعاء هي مِن دواعي الإجابة أيضًا، منها:

١ - أن يغتنم الأوقات والأحوال الشريفة.

٢ - أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه.

٣- أن يجعل صوته بيْن المخافتة والجهر: قال الله -تعالى-: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

٤- أن لا يتكلف السجع في الدعاء.

٥- التضرع والخشوع والرغبة والرهبة: قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

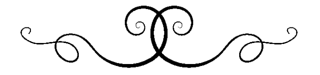
٦- أن يجزم بالدعاء ويوقن بالإجابة، ويصدق رجاؤه فيه: قال النبي ﷺ: «**ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ**» [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

٧- أن يلح في الدعاء ويكرره: قال النبي ﷺ: «**إِذا سَأَلَ أَحدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ فإِنَّما يَسْأَلُ رَبَّهُ**» [رواه ابن حبان، وصححه الألباني].

٨- أن يفتتح الدعاء بذكر الله والثناء عليه، ويختمه بالصلاة على النبي ﷺ: قال عليٌّ رضي الله عنه: «**كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ**» [رواه البيهقي والطبراني، وحسنه الألباني وقال: وهو في حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يُقال مِن قِبَل الرأي].

٩- الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة: التوبة، ورد المظالم، والإقبال على الله -تعالى-.

اللهم تقبَّل منا الصيام، والقيام، وصالح الأعمال.



الموعظة العاشرة



وقفة محاسبة

قال الله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

- فيا أخي... اعلم أن قوله -تعالى-: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ﴾ هو أمر بالمحاسبة للنفس على ما قدمت لغدها المنتظر.

فها هي أيام العمر قد انقضى منها ما انقضى، وها هي أيام رمضان قد انقضى منها ثلثها.

فماذا قدَّمت فيها ليوم الحساب؟!

وهل حاسبت نفسك على ما قدَّمت؟!

- أخي... اعلم أن المحاسبة هي:

- أن ينظر المسلم في فرائضه الواجبة عليه، كنظر التاجر إلى رأس ماله.

- وينظر إلى النوافل نظر التاجر إلى الأرباح الزائدة على رأس المال.

- وينظر إلى المعاصي والذنوب، كالخسارة في التجارة.

- ثم يخلو بنفسه ساعة مِن آخر كل يوم، يحاسِب فيها نفسه على عمل يومه.

- فإذا رأى نقصًا في الفرائض والواجبات؛ لامها ووبخها، وقام إلى جبره في الحال؛ فإن كان مما يُقضَى قضاه، وإن كان مما لا يُقضى؛ جبره بالإكثار مِن النوافل.

- وإن رأى نقصًا في النوافل؛ عوض الناقص وجبره.

- وإن رأى خسارة بارتكاب المنهي؛ استغفر وندم وأناب، وعمل مِن الخير ما يراه مصلحًا لما أفسد؛ هذا هو المراد مِن المحاسبة للنفس، وهي إحدى طرق إصلاحها، وتأديبها وتزكيتها وتطهيرها.

أخي... كان سيد الخلق يقول ﷺ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**» [رواه مسلم]، وقال: «إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني].

وكان عمر رضي الله عنه يقول: «حاسبوا أنفسكم قبْل أن تحاسبوا».

أخي الحبيب... اعلم أن النجاة يوم الحساب متوقفة على المحاسبة للنفس في الدنيا، قال الله -تعالى-: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ**

نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال الله -تعالى-: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال الله -تعالى-: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال الله -تعالى-: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [الزلزلة: ٦].

فاقتضت هذه الآيات وما أشبهها خطر الحساب في الآخرة، وتحقق أرباب البصائر أنهم لا ينجيهم مِن هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة لأنفسهم، وصدق المراقبة؛ فمَن حاسب نفسه في الدنيا، خف في القيامة حسابه، وحسن منقلبه، ومَن أهمل المحاسبة دامت حسرته.

فاللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا.

الموعظة الحادية عشر

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾

قال الله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥]، وقال الله -تعالى-: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا**» [متفق عليه]، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**اللهُمَّ، لا عَيْشَ إِلا عَيْشُ الآخِرَةِ**» [متفق عليه].

أخي... إن من نظر إلى الدنيا بعين البصيرة، أيقن أن نعيمها ابتلاء، وحياتها عناء، وعيشها نكد، وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل؛ إما بسبب نعمة زائلة، أو بلية نازلة، أو منية قاضية!

مسكين مَن اطمأن ورضي بدار حلالها حساب، وحرامها عقاب؛ إن أخذه مِن حلال حوسب عليه، وإن أخذه مِن حرام عُذب به!

مَن استغنى في الدنيا فُتن، ومَن افتقر فيها حزن، ومَن أحبها أذلته، ومَن التفت إليها ونظرها أعمته!

أخي... لقد كشف العليم الرحيم لعباده عن حقيقة الدنيا، وبيَّن لهم قصر مدتها، وانقضاء لذتها، بما يضرب مِن الأمثال الحسية، قال الله -تعالى-: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

واعلم أخي... رحمني الله وإياك، أن الناس فيها قسمان:

- **القسم الأول:** فطناء قد وفقهم الله فعلموا أنها ظل زائل، ونعيم حائل وأضغاث أحلام، عرفوا أنها فانية، وأنها مَعْبَر إلى

الباقية؛ فرضوا منها بالقليل، فاستراحت قلوبهم مِن همها وأحزانها، واستراحت أبدانهم مِن نصبها وعنائها، فلم تشغلهم عن دينهم، جعلوا الآخرة نصب أعينهم، ففكروا كيف يخرجون مِن الدنيا وإيمانهم سالم، وما يصحبونه معهم إلى قبورهم: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء]، وقال: -تعالى-: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس].

أدركوا كل هذا؛ فتأهبوا للسفر الطويل، وأعدوا للحساب جوابًا، وقدَّموا الزاد للمعاد، وخير الزاد التقوى؛ فطوبى لهم، خافوا فآمنوا، وأحسنوا ففازوا وأفلحوا.

- **والقسم الثاني من الناس:** جهال عمى البصائر، لم ينظروا أمرها، ولم يكشفوا سوء حالها ومآلها، برزت لهم بزينتها ففتنتهم، فإليها أخلدوا، وبها رضوا، ولها اطمأنوا حتى ألهتهم عن الله -تعالى- وطاعته ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

قال الله -تعالى- عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس].

أقاموا الدنيا فهدمتهم، واعتزوا بها مِن دون الله فأذلتهم!

أكثروا فيها مِن الآمال، وأحبوا طول الآجال، ونسوا الموت وما بعده مِن الشدائد والأهوال!

قال الله -تعالى- فيهم: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

أخي.. لقد أخبر الرسول ﷺ عن خسارة أهل الدنيا؛ لانشغالهم بجمعها، وأخبر عن فلاح أهل الآخرة؛ لانشغالهم بالعمل لأجلها، قال ﷺ: **«مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلا مَا قُدِّرَ لَهُ»** [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

ولذا أمر المسلم أن يكون فيها كالغريب، أو عابر السبيل، وأن يعد نفسه مِن أهل القبور، وإذا أصبح فلا ينتظر المساء، وإذا أمسى فلا ينتظر الصباح.

قال المسيح عليه السلام: «يا بني إسرائيل، اجعلوا بيوتكم كمنازل الأضياف، فما لكم في العالم مِن منزل، إن أنتم إلا عابري سبيل».

وقال: «يا معشر الحواريين: أيكم يستطيع أن يبني فوق موج البحر دارًا؟ قالوا: يا روح الله... مَن يقدر على ذلك؟! قال: إياكم والدنيا، فلا تتخذوها قرارًا».

واعلم أخي -رحمني الله وإياك-: أن رأس كل خطيئة في العالم أصلها حب الدنيا؛ فبسبب حب الخلود في الدنيا، كانت خطيئة الأبوين قديمًا.

- وبسبب حب الرياسة التي محبتها شر مِن محبة الدنيا، كان ذنب إبليس.

-وبسبب حب الدنيا وجاهها، كان كفر فرعون وهامان وجنودهما.

فاللهم اجعلنا ممن جعلوا الآخرة هي همهم، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

الموعظة الثانية عشر

رمضان شهر الصدقة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» [متفق عليه].

وقد ذكر العلماء في حكمة زيادة جوده ﷺ في رمضان فوائد وأسبابًا كثيرة، منها:

١- شرف الزمان ومضاعفة الأجر فيه.

٢- إعانة الصائمين والقائمين على طاعتهم، فينال مِن أعانهم مثل أجرهم، قال النبي ﷺ: «**مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

٣- أن الجزاء مِن جنس العمل؛ فمن جاد على عباد الله، جاد الله عليه، وإنما يرحم الله مِن عباده الرحماء.

٤- أن الصائم لا بد أن يقع منه خلل ونقص، والصدقة تجبر ما فيه مِن الخلل والنقص؛ ولذا شرعت صدقة الفطر.

٥- أن الصائم يدع طعامه وشرابه لله، فإذا بذله لغيره عند الإفطار كان ممن أطعم الطعام على حبه، لينال بذلك ثواب الإيثار.

فيا أخي.. هذا شهر الجود والكرم والمواساة، والجود مِن معالي الأخلاق، قال النبي ﷺ: «**إنّ الله -تَعالى- كريمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ ويُحِبُّ معَالِي الأَخْلاقَ ويَكْرَهُ سَفْسافَهَا**» [رواه ابن عساكر، وصححه الألباني].

وكان السلف رضي الله عنه يواسون مِن إفطارهم أو يؤثرون به ويطوون:

- كان ابن عمر رضي الله عنهما يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين، وكان يتصدق بالسكر ويقول: «سمعتُ الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، والله يعلم أني أحب السكر!».

لقد تعلموا ذلك مِن نبيهم ﷺ الذي كان أجود الناس، وأكثر الناس حضًّا لأتباعه على الجود والنفقة، قال النبي ﷺ: «أفْضَلُ الأَعْمالِ أنْ تُدْخِلَ على أخِيكَ المُؤمِنِ سُرُورًا أوْ تَقْضِيَ عنهُ دَيْنًا أوْ تُطْعِمَهُ خُبْزًا» [رواه البيهقي، وحسنه الألباني].

وقال ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله أنْفَعُهُمْ وأحَبُّ الأعْمَالِ إِلَى الله عز وجل سُرُورٌ تُدْخِلُهُ على مُسْلِمٍ أوْ تَكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً أوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا ولأَنْ أمْشِيَ مَعَ أخِي المُسْلِمِ فِي حاجَةٍ أحَبُّ إلَيَّ مِنْ أنْ أعْتَكِفَ فِي هَذَا المَسْجِدِ شَهْرًا» [رواه الطبراني، وحسنه الألباني].

وقال النبي ﷺ: «صَنَائِعُ المَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالصَّدَقَةُ خَفِيًّا تطفئ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ زِيَادَةٌ فِي العُمُر، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ» [رواه الطبراني في الأوسط، وصححه الألباني].

وقال النبي ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ» [متفق عليه].

فيا أخي... انظر إلى عظيم كرم الله؛ إن هذه البغي سقت كلبًا مِن العطش فغفر لها! فما ظنك بكرمه إذا أطعمتَ وسقيتَ مسلمًا صائمًا؟!

أخي... للصدقة وجوه كثيرة تُغتنم منها الحسنات، وتُرفع بها الدرجات، منها:

○ **منها إطعام الطعام:** قال الله -تعالى-: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

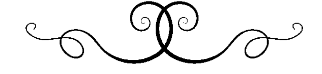
إن عبادة إطعام الطعام عبادة ولادة، ينشأ عنها فضائل كثيرة، منها: «الحب في الله ومجالسة الصالحين - وتوثيق التعارف - وإعانتهم بهذا الطعام على طاعة الله»، قال النبي ﷺ: «**كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ**» [رواه مسلم].

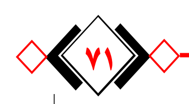
○ **ومنها بذل المال:** وهو الصورة المباشرة الواضحة التي تدفع فيها المال إلى يد الفقير، كانت عائشة رضي الله عنها تعطر الصدقة قبل إخراجها، فقيل لها في ذلك، فقالت: «إنها تقع في يد الله قبْل أن تقع في يد الفقير!».

❍ **ومنها بذل المال في الدعوة إلى الله:** وذلك بإقامة المساجد، وإقامة الجُمَع والأعياد، وشراء المراجع لطلبة العلم، والإنفاق على الفقراء منهم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

❍ **ومنها الصدقة الجارية:** قال النبي ﷺ : «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَةٍ: إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**» [رواه مسلم].

فاجتهد في شهر الجود أن تكون مِن أجود الناس، كما كان سيد الناس ﷺ .





الموعظة الثالثة عشر

رمضان شهر تنوير المساجد بالطاعات

كما أن رمضان موسم لكَ -أخي المسلم- للطاعات، فكذلك المساجد، فإن رمضان موسم لها تنتظره مِن العام إلى العام، كما تنتظر أنتَ رمضان.

ألا ترى كيف تعمَّر المساجد في رمضان بالقائمين، والساجدين، والمعتكفين، والمتهجدين؟!

نعم... إنه شهر تنوير المساجد بالطاعات؛ فحق لها أن تزهر وتفرح.

- فهذا وقت التراويح، قد اجتمع المصلون فيها لتلاوة كتاب ربهم في صلاتهم.

- وهذا وقت التهجد، قد فزع إليها المجتهدون ليعمروها بالصلاة والناس نيام.

- وهذا وقت السحر، قد بكَّر فيه أهل الفجر بالحضور؛ ليعمروها بالدعاء والصلاة، والتضرع في وقت النزول الإلهي.

- وهذا وقت انتظار شروق الشمس، قد عمَّره الحُجاج والمعتمرون كل يوم، بالانتظار فيها والدعاء والذكر حتى طلوع الشمس، ثم ختموا ذلك بالصلاة.

- وهذا وقت النهار، يرتادها المصلون، والتالون لكتاب الله في كل ساعة، معمرين نهار رمضان.

- وهذه أيام العشر ولياليها، قد عكف فيها المنقطعون لعبادة ربهم ما بيْن صلاة وتلاوة، وذكر ودعاء: قال الله -تعالى-: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [النور].

أخي... تلك البيوت التي أذن الله أن ترفع هي المساجد.

المساجد التي هي هذه البقاع الأرضية الطاهرة التي تتنزل فيها السكنية.

هذه الأماكن المقدسة التي تشهد تربتها كل يوم خمس مرات هذه الجباه الساجدة الضارعة لبارئها.

هذه الأماكن التي هي مهابط رحمة الله ورضوانه على ظهر هذه الأرض التي امتلأت بالقسوة والظلم والخطايا.

هذه الأماكن التي يهرع ويفزع إليها المؤمنون مِن مادية الزمان الطاغية ليجدوا السكينة والطمأنينة بين رحابها، قال رسول الله ﷺ: «**أَحَبُّ الْبِلادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا**» [رواه مسلم]، وقال النبي ﷺ: «**الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ مُؤْمِنٍ**» [رواه أبو نعيم في الحلية، وحسنه الألباني].

- ولذا رغَّب النبي ﷺ المؤمنين في بناء المساجد، فقال: «**مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ، بَنَى اللهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ**» [متفق عليه].

- وكان ﷺ يرغِّب أصحابه في كثرة الارتياد على المسجد، فقال ﷺ: «**مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**» [متفق عليه].

- وانظر إلى تعلقه ﷺ بالمسجد: فعن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ كَـانَ إِذَا صَـلَّى الْفَجْـرَ جَلَـسَ فِي مُـصَلاهُ حَتَّـى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا» [رواه مسلم].

- ولقد بشَّر الصادق المصدوق ﷺ أمته ببشارة عظيمة يوم القيامة لمن ارتبط بالمسجد وتعلق به، فقال: «**سَبْعَة يظلهم الله -تَعَالَى- فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرجل قلبه مُعَلّق بِالْمَسْجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرجل دَعَتْهُ امْرَأَة ذَات منصب وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا؛ حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**» [متفق عليه]. فذكر منهم: «**وَرجل قلبه مُعَلّق بِالْمَسْجِدِ**».

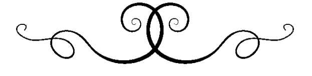
أخي... لقد ظهر ذلك في أحوال أصحابه وسلف الأمة رضي الله عنهم فتعلقت قلوبهم بالمساجد؛ لما علموه مِن شرفها وفضلها.

- هـا هـو عـلي بـن أبي طالـب رضي الله عنه لمـا حـدث بينـه وبـين فاطمة رضي الله عنها خلاف في شأن الزوجية خرج مِن بيته، وأوى إلى المسجد فمكث فيه.

- وها هو أبو أمامة رضي الله عنه لما أصابته الهموم والغموم لجأ إلى المسجد فمكث فيه حتى علمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاءً نافعًا يقوله إذا أصابه الهم.

- وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا سألوا عنه، وجدوه في المسجد، وغيرهم الكثير والكثير... تعلقت قلوبهم بالمساجد التي هي أفضل بقاع الأرض وأطهرها.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن تعلقت قلوبهم بالمساجد؛ فعمِّروها بالعبادة.



الموعظة الرابعة عشر

مجالس الذكر

قال الله -تعالى-: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال النبي ﷺ: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا**»، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «**حِلَقُ الذِّكْرِ**» [رواه أحمد والترمذي، وحسنه الألباني].

أخي... اعلم -رحمني الله وإياك-: أن في الدنيا جنة مَن لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة، هي جنة الإيمان التي كان الواحد مِن السلف يقول لأخيه في شأنها: «اجلس بنا نؤمن ساعة!».

إنها مجالس الذكر...

- إنها المجالس التي يباهي الله بها الملائكة...

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ

آللَّـهِ مَـا أَجْلَـسَكُمْ إِلا ذَاكَ؟ قَـالُوا: وَاللهِ مَـا أَجْلَـسَنَا إِلا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُـمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**مَا أَجْلَسَكُمْ؟**» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «**آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلا ذَاكَ؟**» قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلا ذَاكَ، قَالَ: «**أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلائِكَةَ**» [رواه مسلم].

إنها المجالس التي يخرج أهلها بأعظم شهادة:

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مَلائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلاً يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا**

يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» [متفق عليه].

أخي... إنها المجالس التي تزداد بها فضلاً وأجرًا وشرفًا.

قال لقمان الحكيم عليه السلام لابنه وهو يعظه: «يا بني، لا تجالس إلا الأخيار؛ فإنك إن كنتَ عالمًا زادوك علمًا، وإن كنت جاهلاً علَّموك، وإن نزلتْ عليهم مِن الله رحمة نزلت عليكَ معهم، ولا تجالس الأشرار؛ فإنك إن كنتَ عالمًا لم ينفعك العلم، وإن كنتَ جاهلاً زادوك جهلاً، وإن نزلت عليهم مِن الله لعنة نزلت عليكَ معهم».

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

أحب الصالحين ولستُ منهم ... لعلي أن أنال بهم شفاعة

وأكره مَن تجارته المعاصي ... ولو كنا سواء في البضاعة

أخي... احرص على حضور مجالس العلم أينما وُجدتْ؛ ففيها الرحمة والسكينة.

قال النبي ﷺ: «**لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عز وجل إِلا حَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**» [رواه مسلم].

يا أخي... إن حلق الذكر والعلم هي تركة النبي ﷺ لمن أراد أن يرثه.

مرَّ أبو هريرة رضي الله عنه بالسوق، فوجد الناس وقد كثر لغطهم وانشغالهم بالبيع والشراء، فقال: أنتم هنا وميراث النبي ﷺ يوزع في المسجد؟! فأسرع الناس إلى المسجد، ورجعوا: فقالوا: ما وجدنا في المسجد إلا حلق العلم ومجالس الذكر! فقال: «هذا هو ميراث النبي ﷺ».

فاللهم نسألك علمًا نافعًا، وأن تكتبنا عندك مِن الذاكرين الله كثيرًا.

الموعظة الخامسة عشر
وقفة مراقبة

قال الله -تعالى-: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧].

وقال الله -تعالى-: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾.

[يونس: ٦١]

وقال النبي ﷺ في الإحسان: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**» [رواه مسلم].

أخي... إن النصوص المتقدمة تنطق بأن الله يعلم أعمالنا صغيرها وكبيرها، وهو مطلع علينا في كل أحوالنا؛ فهو علينا رقيب، وشهيد، وحسيب؛ ولذلك أمرنا ﷻ بمراقبته وتقواه

فقال: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

والمراقبة: هي أن يأخذ المسلم نفسه بمراقبة الله -تبارك وتعالى-، ويلزمها إياها في كل لحظة مِن لحظات الحياة، حتى يتم لها اليقين بأن الله مطلع عليها، عالم بأسرارها، رقيب على أعمالها، قائم عليها وعلى كل نفس بما كسبت.

ولله در مَن قال!

إذا ما خلوتَ الدهر يومًا فلا تقل خلوتُ، ولكن قل عليَّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

وهذا هو الطريق الذي درج عليه السابقون الأولون مِن سلف هذه الأمة الصالح؛ إذ أخذوا أنفسهم بمراقبة الله -تعالى- حتى تمَّ لهم اليقين، وبلغوا درجة المقربين!

وها هي ذي آثارهم تشهد لهم:

- فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بستان مِن بساتين الأنصار، وأنس بن مالك رضي الله عنه يراقبه ويرقبه وهو لا يراه،

وإذا بعمر رضي الله عنه يقف وقفة محاسبة ووقفة مراقبة مع نفسه، ويقول: «عمر أمير المؤمنين! بخ بخ، والله لتتقين الله يا عمر أو ليعذبنك الله!».

- عمر رضي الله عنه الذي يأتيه أعرابي وقد قرض الجوع بطنه وبه مِن الفقر ما به، ويقف على رأسه ويقول:

يا عمرَ الخيرِ جَزيتَ الجنة   اكْسُوا بُنَيَاتي وأُمَهُن
وكُن لنا في ذا الزمانِ جُنة   أُقسمُ بالله لتَفعلن

فقال عمر رضي الله عنه : وإن لم أفعل يكون ماذا؟

قال إذن أبا حفص لأمضين.

قال عمر رضي الله عنه : وإن مضيتَ يكون ماذا؟

قال: والله عنهن لتسألن، يوم تكون الأعطيات منة، وموقفُ المسئولِ بينهن، إما إلى نارٍ وإما جنةٍ؛ فلم يملك عمر رضي الله عنه إلا أن ذرفت دموعه على لحيته، ودخل ولم يجد شيئًا في بيته، فما كان إلا أن خلع رداءه، وقال: خذ هذا ليوم تكون الأعطيات منة، وموقف المسئول بينهن، إما إلى نار وإما جنة!

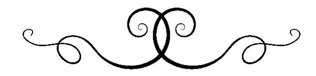
هكذا تكون مراقبة الله -تعالى-، وهكذا تكون تقوى الله -تعالى-...

- وها هو عمر بن عبد العزيز رحمه الله: وهو يلي أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم في يوم مِن الأيام يكسب أو يفيء الله على المسلمين فيئًا، وهذا الفيء تفاح فأراد أن يقسمه على الرعية، وبينما هو يقسم التفاح إذ امتدت يد صبي مِن صبيانه -طفل صغير أخذ تفاحة ووضعها في فمه- فما كان مِن عمر إلا أن أمسك بفيه وأوجع فكيه واستخرج التفاحة مِن فمه وردها بيْن التفاح والطفل يبكي ويخرج ويذهب إلى أمه ويحكي لها الحادثة فترسل غلامًا مِن البيت ليشتري لهم التفاح، ويقسِّم الفيء على المسلمين وينسى نفسه فلم يأخذ تفاحة واحدة، ويذهب إلى البيت فيشم رائحة التفاح في بيته فيقول: مِن أين لكم هذا؟! ووالله ما جئتكم بتفاحة واحدة، فأخبرته الخبر، فقالت: جاء ابنك يبكي فأرسلت الغلام وجاء بهذا التفاح، قال يا فاطمة والله لقد انتزعتُ التفاحة مِن فمه وكأنما انتزعتها مِن قلبي، لكني والله كرهتُ أن أضيع نفسي بتفاحة من فيء المسلمين يأكلها!

ـ وقيل للجنيد رحمه الله: «بمَ يستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق مِن نظرك إلى المنظور له».

ـ وقال ابن المبارك رحمه الله لرجل: «راقِب الله يا فلان، فسأله الرجل عن المراقبة. فقال له: كن أبدًا كأنك ترى الله -تعالى».

فاللهم املأ قلوبنا منك خشية تردنا بها عن معاصيك، وتأخذنا بها إلى طاعتك.



الموعظة السادسة عشر

الدعوة إلى الله

قال الله -تعالى-: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال -تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال النبي ﷺ: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا» [رواه البخاري].

أخـــي... إن النـصوص المتقدمـة كلهـا تـدل عـلى وجـوب الدعوة إلى الله في مجتمعات المسلمين، والتي بسببها يكون لهم الخيرية والفلاح والنجاح والرفعة، وأن في غيابها غياب لهذه الفضائل والتعرض للهلكة والضياع.

أخــــي... -اعلـم رحمنـي الله وإيـاك- أن الله قـد أوجـب الدعوة إليه لثلاثة مقاصد عظيمة:

المقصد الأول: عذر الداعي، يعني: أن تعذر أمام الله يوم القيامة.

المقصد الثاني: عودة الناس إلى ربهم.

المقصد الثالث: النجاة مِن عذاب الله الواقع للعصاة في الدنيا.

ولعل مِن أعظم ما يبين هذه المقاصد العظيمة قصة أصحاب السبت التي ذكرها الله -تعالى- في كتابه، فقال ﷻ:

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ

مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف].

واعلم -أخي رحمني الله وإياك-: أن الدعوة إلى الله هي أشرف وظيفة يعملها الإنسان، فهي وظيفة أشرف الناس وهم الأنبياء والرسل، قال -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

واعلم... أن الأمة شريكة لرسولها ﷺ في الدعوة والإرشاد: قال الله -تعالى- لرسوله ﷺ ليبلغ أمته: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ولا عليك -أخي- مما يقوله المبطلون ويلقونه مِن شبهات على طريق دعوتك... فإن قالوا لكَ: إنها وظيفة رجال الدين المعينين!

فقل لهم: إن كلامكم مردود مِن وجهين:

الأول: أن ذلك دين النصارى المحرَّف، فإن أحبارهم ورهبانهم قد جعلوا أنفسهم وسائط بيْن الناس وبين ربهم؛ أحالهم بينهم وبين الله، يبتغون عرض الحياة الدنيا.

الثاني: أن ذلك ينافي الاتباع الذي جاء به النبي ﷺ: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾.

وقل لهم ناصحًا: لماذا لا تكونون أنتم رجال هذا الدين فتحملونه للخلق؟!

وإن قالوا لكَ: أليس الله يقول: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، يريدون مِن ذلك تأويلها على الامتناع عن الدعوة إلى الله؛ بحجة ضلال الناس؟!

فقل لهم: هذا فهم خاطئ، ردَّه صديق الأمة يوم قاله أناس مثلكم، فقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنكم تقرؤونَ هذهِ الآيَة وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

(**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ**) [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني].

وإن قالوا لكَ: لا فائدة، الباطل كثير وينتشر!

فقل لهم: أنتم مأمورون بالدعوة إلى الله، سواء آمن الناس أم لم يؤمنوا؛ قال الله -تعالى-: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية]، وقالت الرسل لأقوامهم: ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [يس: ١٧].

وإن قالوا لك: الدعوة إلى الله مشقة، والله يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فقل لهم: الجواب على ذلك من وجوه:

الأول: هذا هو طريق الجنة، قال الله -تعالى-: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

الثاني: ألا تعلمون أن دعاة التنصير يطوفون العالم بالشهور، ومعلوم الفرق في الأجر، قال الله -تعالى-:



﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

الثالث: أين أنتَ مِن أصحاب نبيك ﷺ ودعوتهم إلى الله، والأمثلة كثيرة، ومِن أشهرهم: مصعب بن عمير رضي الله عنه، أول داعي مِن قِبَل رسول الله ﷺ إلى خارج مكة.

وقل لهم ناصحًا: إن أكثر مَن يقولون ذلك، يبذلون المشاق والصعاب لتحصيل ملذات دنيوية؛ فأي الأمرين أشرف؟ وأي الأمرين أحق بالاهتمام والتحمُّل؟!

ويا أخي -الداعي إلى الله-.. أسوق إليك في ختام حديثي بشرى عظيمة مِن كلام سيد الدعاة وأشرفهم، قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى معلم النَّاس الْخَيْرَ**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

فاللهم اجعلنا هداة مهتدين، ودعاة عاملين، وردَّ الناس إلى دينك مردًّا جميلاً.





الموعظة السابعة عشر

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾

قال الله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف].

أخي.. رمضان شهر الجهاد، ذروة سنام الإسلام، شهر التجارة الرابحة، ولقد امتن الله -تعالى- على الأمة في هذا الشهر بأحلى انتصاراتها وعظيم فتوحاتها،وعلى مدار التاريخ الإسلامي كان هذا الشهر رمزًا للعطاء والبذل والجهاد في سبيل الله، تلبية لأمر الله -تعالى- عباده المؤمنين بالقيام بنصرة دينه لما قال لهم: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١].

وها هم أصحاب محمد ﷺ يجيبون نبيهم ﷺ لما استنفرهم لنصرة دين الله -تعالى- في أول معارك الإسلام الكبرى، وأم الانتصارات: «معركة بدر الكبرى».

فلما كان رمضان مِن السنة الثانية مِن الهجرة، بلغ رسول الله ﷺ خبر العير المقبلة مِن الشام لقريش، صحبة أبي سفيان، وهي العير التي خرجوا في طلبها لما خرجت من مكة، وفيها أموال عظيمة لقريش، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها، وأمر مَن كان ظهره حاضرًا بالنهوض، ولم يحتفل لها احتفالاً بليغًا؛ لأنه خرج مسرعًا في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً.

فبلغ أبا سفيان مخرجُ النبي ﷺ ومقصده إياه؛ ففر بالقافلة جهة البحر، وأرسل لقريش بالنفير إلى عيرهم، ليمنعوه من محمد ﷺ وأصحابه، فخرجت قريش بحدها وحديدها فلم يتخلف مِن أشرافهم سوى أبي لهب؛ فجاءت قريش في جيش يفوق قوة المسلمين في العدة والعتاد والعدد والمؤنة أضعافًا مضاعفة؛ فتحرج النبي ﷺ على أصحابه وعلى الأنصار خاصة لشدة الموقف، فاستشار النبي ﷺ أصحابه، وأخبرهم عن مسير قريش وحراجة الموقف.

فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال وأحسن، ثم قام عمر رضي الله عنه فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال: يا رسول الله امضِ لما أمرك الله به، فنحن معك، والله لا نقول لكَ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرتَ بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك مِن دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرًا ودعا له به، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشيروا عليَّ أيها الناس. فوقف سعد بن معاذ رضي الله عنه وقال: والله لكأنك تعنينا يا رسول الله! قال صلى الله عليه وسلم: أجل.

فقال سعد: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، فامضِ يا رسول الله لما أردتَ ونحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا أحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصبرٌ في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله.

فسُرَّ النبي ﷺ لقول سعد، ونشَّطه، فقال: سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم.

فسار رسول الله ﷺ إلى بدر، وجمع الله الفريقين على غير ميعاد، كما قال -تعالى-: ﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ [الأنفال: ٤٢].

وقد وصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كيف بات المسلمون ليلة السابع عشر مِن رمضان ببدر، وأمامهم معسكر المشركين، فقال رضي الله عنه: لقد رأيتنا يوم بدر، وما منا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ، فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح!

وأنزل الله في تلك الليلة مطرًا واحدًا، فكان على المشركين وبالاً شديدًا منعهم مِن التقدم، وكان على المسلمين طلاً طهَّرهم به وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض، وصلب به الرمل، وثبت به الأقدام.

واستنصر المسلمون ربهم واستغاثوه: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ [الأنفال: ٩]، فأوحى الله إلى ملائكته: ﴿أَنِّي

مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢].

ثم حمى الوطيس، واستدارت رحى المعركة واشتد القتال، وأخذ رسول الله ﷺ في الدعاء والابتهال ومناشدة ربه -تعالى-، حتى جاء النصر وأنزل الله جنده، وأيد رسوله ﷺ والمؤمنين -على قلتهم وشدة حاجتهم-، قال الله -تعالى-: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

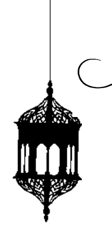
أخي... لقد مضت غزوة «بدر» تحمل قصة نصر حاسم وفرقان بيْن الحق والباطل؛ قصة انتصار الحق على أعدائه المدججين بالسلاح، المزودين بكل زادٍ مادي، لقد كانت غزوة بدر قصة انتصار القلوب حين تتصل بربها، فينصرها الله مع قلتها وحاجتها.

أخي... لقد مضت غزوة «بدر» مثلاً في التاريخ تقرر دستور النصر والهزيمة؛ إلا أنها كتاب مفتوح تقرأه الأجيال في

كل زمان وفي كل مكان؛ فهي آية مِن آيات الله ما دامت السموات والأرض تنطق بنصر الله للقلة المؤمنة على الكثرة الكافرة: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

فاللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، ودمِّر أعداءك أعداء الدين.





الموعظة الثامنة عشر
الاعتكاف

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ» [رواه مسلم].

وكان النبي ﷺ يفعل ذلك تحريًا لليلة القدر، حيث رغَّب أصحابه في قيامها والاعتكاف لها، فقال: «**وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» [متفق عليه].

والاعتكاف هو: حبس النفس في بيت الله تفرغًا للعبادة؛ فالاعتكاف هو زيارة الله في بيته، والانقطاع إليه فيه، وحق على المزور أن يكرم زائره؛ لذا كان النبي ﷺ يعتكف كلَّ رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قُبض فيه، اعتكف عشرين يومًا، وأكد الاعتكاف في العشر الأواخر تحريًا لليلة القدر.

فالمعتكف حَبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه؛ قد عكف قلبه وقالبه على ربه،

وما يقربه منه، فما بقي له همٌّ سوى الله وما يرضيه؛ ولذا كان الإمام أحمد رحمه الله لا يستحب للمعتكف مخالطة الناس حتى ولو لتعليم علم وقراءة قرآن.

أخي... إذا كنتَ تشتكي قسوة في قلبك، أو ضعفًا في إيمانك، فهيا إلى كهف الاعتكاف ينشر لك ربك مِن رحمته، ويهيئ لكَ مِن أمرك رشدًا، فمنه تخرج خلقًا آخر.

مقاصد الاعتكاف:

للاعتكاف مقاصد، مِن أعظمها:

١ - تحري ليلة القدر: وهو المقصد الرئيس، فإنه ﷺ لما علِم أنها في العشر الأواخر، ترك اعتكاف العشرين الأخرى.

٢ - إصلاح القلب: قال النبي ﷺ: «**أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ**» [متفق عليه]، وأكثر ما يفسد القلب كثرة الشواغل؛ لذا فإن المعتكف ينقطع لشغل واحد وهو التعبد لله.

٣- حفظ الصيام مما يفسده: فلا مجال في الاعتكاف لإطلاق بصر، أو مشاحنة خصم، أو شجار زوج، أو جرح لسان، أو صاحب سوء، أو سماع منكر.

٤- تعلم الزهد: فالمعتكف ينام على الأرض ويأكل على الأرض، ويأكل ما قُدِّم له.

٥- اختيار الإخلاص في العبادة: قال ذو النون المصري: «لم أرَ شيئًا أبعث لطلاب الإخلاص مثل الوَحدة، ومَن أحب الخلوة؛ فقد تعلق بعمود الإخلاص».

٦- حب المكث في المسجد: إن الذي يتعود المكث في المسجد إنما يبذر في قلبه بذرة: «**وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ**» [متفق عليه].

٧- مدرسة الصبر: فالاعتكاف ترويض للنفس لتعلم الصبر... الصبر عما ألفه مِن أنواع الطعام والشراب، والصبر عما تعود مِن فراش لين، والصبر على مزاحمة الآخرين، والصبر عن شهوة الزوجة، وأكثر ملذات الدنيا.

أخي... هذه فرصتك؛ فأنت في خلوة مع ربك عشرة أيام كاملة.

أخي... إنك تستطيع أن تغتنم هذه الأيام في حفظ ما تيسر مِن كتاب الله -تعالى-، أو في الإكثار مِن الذكر الذي لم تكن تستطيعه في غيره.

أخـي... هل تعلـم أن هناك مَـن حفـظ القـرآن كلـه في ستين يومًا فقط؟!

نعم... قال الشيخ عبد الرحمن الدوسري: «حفظتُ القرآن العظيم في ستين يومًا، انقطعتُ عن الناس، وأغلقت عليَّ مكتبي، ولم أخرج منه إلا للصلاة فقط!».

أخـي... ونحن نرغِّبك في الاعتكاف، نؤكد على ما ينبغي أن يكون عليه الاعتكاف، فالاعتكاف المنشود اليوم ليس الاعتكاف الذي يجعل في المساجد مهاجع للنائمين، ومجالس للمتزاورين، وموائد للأكل، وحلقات للضحك، ومرتعًا لفضول الكلام؛ فهذا اعتكاف لا يزيد صاحبه إلا قسوة في القلب وبعدًا عن الله.

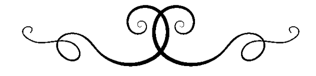
أما الاعتكاف المنشود: فهو الذي تسيل به دموع الخاشعين، وترق به قلوب المشفقين، وترفع فيه أكف المتضرعين، إنه الاعتكاف الذي لا يُصرف منه لحظة في غير طاعة، ليكون بذلك علاجًا فعالاً لثلاثة أمراض تعتبر مِن أهم علامات موت القلب، وهي التي أشار إليها ذو النون المصري في قوله:

«ثلاث مِن علامات موت القلب: الأنس مع الخلق، والوحشة في الخلوة مع الله، وافتقاد حلاوة الذكر».

أخي... الاعتكاف فرصتك في التغير والتغيير، وليس ذلك مستحيلاً، قال المنذر بن عبيد: «تولى عمر بن عبد العزيز بعد صلاة الجمعة؛ فأنكرتُ حاله في العصر!».

فكيف بك -أخي- وأنتَ ستكون عشرة أيام في كهف الإيمان، تتدبر القرآن، وتكثر مِن الاستغفار، وتقوم بالليل والناس نيام.

فاللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك.



الموعظة التاسعة عشر

العشر الأواخر... تاج الليالي

إن ربنا ﷻ يتفضَّل على عباده بنفحات الخيرات ومواسم الطاعات، فيغتنم الصالحون نفائسها، ويتدارك الأوابون أواخرها؛ ليالٍ مباركة أوشكتْ على الرحيل، ليالي شهر كريم، أبواب الجنان فيه مفتحة، وأبواب النار فيه مغلقة، والشياطين فيه مصفدة، العشر الأواخر منها تاج الليالي، فإنها أفضل الليالي وأعلاها قدرًا.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ» [متفق عليه].

أخي... إن في العشر ليلة هي أم الليالي الأخيرة، تتغير فيها نواميس الكون في أحوال كثيرة، خَلق عظيم ينزل مِن السماء لشهود تلك الليلة العظيمة؛ ليلة سلام وبركات على هذه الأمة، فهي ليلة البركات والخيرات، وهي عزيزة الساعات، القليل مِن العمل فيها كثير، والكثير منه مضاعف، قال الله

-تعالى-: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر].

أخي... في هذه الليلة نزل كتاب ربنا العظيم: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١]؛ مما يدل على علاقة وثيقة بينها وبين القرآن العظيم، الذي مَن قرأ حرفًا منه له به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، إلى أضعاف كثيرة، وهو شافع لصاحبه يوم القيامة، وسبب رفعته في الدنيا والآخرة؛ فاجعل لتلاوة القرآن على لسانك في العشر الباقية طراوة، ولصوتك منه نداوة، لتظفر بشفيعين في الآخرة: «القرآن، والصيام».

والصلاة قرة عيون الصالحين، ومراحة أفئدة الخاشعين، وأفضل الصلاة بعد الفريضة: صلاة الليل، قال النبي ﷺ لرجل مِن خير أصحابه وهو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**» [متفق عليه].

فكيف وأنتَ في أعظم ليالي خلقها الله -تعالى-؟!

وقد بشَّرك الرسول ﷺ بالمغفرة إذا قمتها، قال النبي ﷺ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»

[متفق عليه]. (**إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا**) أي: «تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه، وطلبًا للأجر لا لقصد آخر مِن رياء أو نحوه» [فتح الباري].

أخي... اعلم -رحمني الله وإياك-: أن في كل ليلة مِن العام ساعة إجابة تفتح فيها الأبواب، والكريم فيها يمنح، تسأل فيها ما شئتَ؛ فكيف إذا انضاف إليها كونها في الليالي العشر بيْن هذا الحفل العظيم في السموات والأرض؟!

أخي... العبد مفتقر إلى محو أدران خطاياه، والانكسار بين يدي الله في هذه العشر المباركات؛ فارغب إلى ربك فيها، وداوم على ذكره وسؤاله، فما أكثر أوقات الإجابة في هذه العشر المباركة.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «فضيلة الزمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل».

أخي... هذه أيام وليالي الفضائل والبركات؛ فأكثِر فيها مِن الطاعات.

أخي... إن مِن عظيم فضل الله علينا، أنه لم يحدد لنا ليلة القدر بليلة معينة، بل قال فيها نبيه صلى الله عليه وسلم: «**إِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ**

الْقَدْرِ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا -أَوْ نُسِّيتُهَا-؛ فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي الْوَتْرِ» [متفق عليه].

أخـي... هـذه الليالي أكثِر فيها مِن طلب العفو عساك أن تفوز به، قالتْ عائشة رضي الله عنها: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو؟ قَالَ: **«تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»** [رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني].

وهنا لطيفة في سؤال يجيب عليه الإمام ابن رجب رحمه الله: لمـاذا سؤال العفو حتى بعد اجتهاد أيام العشر؟!

قال: «إنـما أمره بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعـمال فيهـا وفي ليـالي العـشر؛ لأن العـارفين يجتهـدون في الأعـمال ثـم لا يـرون لأنفـسهم عمـلاً صـالحًا، ولا حـالاً ولا مقالاً؛ فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصِّر!».

فيـا مَـن ضـاع عمـره في لا شـيء

اسـتدرِك مـا فاتـك في الأيـام الباقيـة

فاللـهم أعنـا علـى ذكـرك، وعلـى شـكرك، وعلـى حـسن عبادتك.

•الموعظة العشرون•



﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾

قال الله -تعالى-: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال الله -تعالى-: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال النبي ﷺ: «بَادرُوا بِالأَعْمَالِ فِتنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعرْض من الدُّنْيَا» [رواه مسلم].

أخـي... ها هي أيام وليالي الخير العظمى قد أقبلت؛ فاستبقوا الخيرات، قال الله -تعالى-: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١].

قال العلامة ابن رجب رحمه الله: «لما سمع القوم ذلك، فهموا أن المراد مِن ذلك أن يجتهد كل واحد منهم أن يكون هو

السابق لغيره إلى هذه الكرامة، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية، فكان أحدهم إذا رأى مَن يعمل عملاً يعجز عنه؛ خشي أن يكون صاحب ذلك العمل هو السابق له فيحزن لفوات سبقه، فكان تنافسهم في درجات الآخرة واستباقهم إليها، ثم جاء مِن بعدهم قوم فعكسوا الأمر؛ فصار تنافسهم في الدنيا الدنيئة، وحظوظها الفانية» اهـ.

فإياك أخي أن تنافس مِن أجل دنيا، فإنها منافسة على لا شيء، وستكون النتيجة لا شيء، بل الخسارة! قال الحسن رحمه الله: «إذا رأيتَ الرجل ينافسك في الدنيا؛ فنافسه في الآخرة»، وقال: «مَن نافسك في دينك فنافسه، ومَن نافسك في دنياك فألقها في نحره».

- وقال رجل لمالك بن دينار رحمه الله: رأيتُ فيما يرى النائم مناديًا ينادي: الرحيل الرحيل، فما رأيت أحدًا يرتحل إلا محمد ابن واسع؛ فصاح مالك: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١]، وغشي عليه!

- وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «إن لي نفسًا تواقة، ما نالت شيئًا إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه، وإنها لما نالت هذه المنزلة -يعني الخلافة- وليس في الدنيا منزلة أعلى منها، تاقت إلى ما هو أعلى منها -يعني الآخرة-».

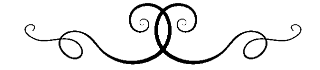
- وقال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

أخي... كن بقلبك، بل بكلك مع القوم الذين قال عنهم الإمام ابن القيم رحمه الله: «رُفع لهم عَلَم الجنة فشمروا إليه، ووضح لهم صراطها المستقيم فاستقاموا عليه، ورأوا مِن أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، في أبد لا يزول ولا ينفد».

أخي... هذه أيام العشر ولياليها، فيها الخيرات والبركات، والأجور الكثيرة، والفضائل الجزيلة، فيها تزكوا الأعمال وتنال الآمال؛ كيف لا؟! والنبي ﷺ كان يسهر ليله، ويوقظ أهله.

هـذه العـشر تُمـلأ فيهـا المـساجد، ويخـشع فيهـا الراكـع والساجد، وينهض إلى الخيرات كل قاعد، ويصير الراغب كالزاهد.

فاللـهم أعنـا علـى طاعتـك، والمنافـسة علـى جنتـك، وتقبَّل منا إنك أنت السميع العليم.



الموعظة الحادية والعشرون

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾

فقد قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إلا مَحْرُومٌ» [رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني]، وقال ﷺ: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ» [رواه أحمد والنسائي، وصححه الألباني].

أخي.. إن الحديث في الآيات والأحاديث المتقدمة عن «ليلة القدر»؛ تلك الليلة المولودة المشهودة، التي سجلها

الوجود كله في فرح وعظة وابتهال، ليلة الاتصال بيْن الأرض والملأ الأعلى، ليلة بدء نزول القرآن على قلب سيد الأنام ﷺ، ليلة ذلك الحدث العظيم الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته، وفي دلالته، وفي آثاره في حياة البشرية جميعًا.

قال الزهري رحمه الله: «سُميت ليلة القدر؛ لعظمتها وقدرها وشرفها، مِن قولهم: لفلان قدر، أي: شرف ومنزلة».

وقال أبو بكر الوراق رحمه الله: «سميت ليلة القدر؛ لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر، على لسان ملك ذي قدر، على رسول ذي قدر، وعلى أمة ذات قدر».

أخـي... هذه ليلة يربح فيها مَن فهم ودرى، ويصل إلى مراده كل مَن جدَّ وسرى، ويفك فيها العاني وتطلق الأسرى.

أخي... إنها ليلة يهون العمر كله لأجلها: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر: ٣].

قال السلف -رحمهم الله-: «العمل فيها خير مِن عمل ألف شهر».

أخي... لقد كان رسول الله ﷺ يجتهد في العبادة، ويشتد في القيام في الأواخر من رمضان التماسًا لهذه الليلة، وكان يقول لأمته: «**إِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا -أَوْ نُسِّيتُهَا-؛ فَالْتَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ فِي الوَتْرِ**» [متفق عليه].

أخي... إنها ليلة الهدايا والعطايا مِن الكريم الجواد، ومن ذلك: أن مَن قامها مؤمنًا محتسبًا؛ نال المغفرة لما سلف، قال النبي ﷺ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» [متفق عليه].

ومن ذلك: كثرة الملائكة فيها التي تنزل إلى الأرض، قال النبي ﷺ: «**لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ السَّابِعَةِ، أَوِ التَّاسِعَةِ وَعِشْرِينَ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَكْثَرُ فِي الأَرْضِ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى**» [رواه أحمد، وحسنه الألباني].

ومن ذلك: أنها سلام حتى مطلع الفجر لأهل الدنيا من المؤمنين، قال مجاهد: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر: ٥]: «سلام أن يحدث فيها داء أو يستطيع شيطان أن يعمل فيها سيئ».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «في تلك الليلة تصفد مردة الجن، وتغل عفاريت الجن، وتفتح فيها أبواب السماء كلها، ويقبل الله فيها التوبة لكل تائب».

أخي... ليلة القدر... ليلة يفتح فيها الباب، ويقرب فيها الأحباب، ويسمع فيها الخطاب، ويرد الجواب، ويُعطى للعاملين عظيم الأجر والثواب.

واعلم -رحمني الله وإياك-: أنه مِن عظيم فضله سبحانه وتعالى أن أخفى تلك الليلة عن عباده؛ ليجتهدوا في ليالي العشر جميعها.

أخي... هذه الليلة العظيمة القدر، عظِّمها مِن قِبَلك بعمل ذي قدر، ومِن الأعمال ذات القدر في هذه الليلة، الدعاء: فقد سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَدْعُو؟ قَالَ: «**تَقُولِينَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**» [رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني].

وقد كان السلف -رحمهم الله- يخصون ليلة القدر بمزيد اهتمام:

- فهذا ثابت البناني رحمه الله يلبس أحسن ثيابه، ويتطيب، ويطيب المسجد بالنضوح في الليلة التي يُرجى فيها ليلة القدر.

- وهذا تميم الداري رضي الله عنه، كان له حلة اشتراها بألف درهم، وكان يلبسها في الليلة التي تُرجى فيها ليلة القدر.

فعليك أخي.. أن تتحرى هذه الليلة؛ فهي فرصة عظيمة، فلعلك تُعطى خيرها، فتسعد سعادة لا شقاوة -بإذن الله- بعدها، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**»، وقال: «**مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلا مَحْرُومٌ**»؛ فيفهم مِن ذلك: أن مَن أُعطي خيرها؛ فقد أعطى الخير كله.

فاللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عنا، وارزقنا حسن العمل في هذه الليالي الشريفة.





الموعظة الثانية والعشرون
أعمال القلوب... الإخلاص

أهمية أعمال القلوب:

أعمال القلوب اهتم بها العلماء، فصنفوا منها المؤلفات، وابتدأوا أعمالهم بالتذكير والحث عليها، فأعمال القلوب تحتاج إلى مجاهدة وعناية، وبما أن النجاة مدارها على أعمال القلوب بالإضافة إلى أعمال الجوارح التي لا بد أن تأتي إذا صحت أعمال القلوب؛ فلا بد مِن التعرف على هذه الأعمال.

ومِن أعظم أعمال القلوب، وأهمها: «الإخلاص»:

فهو أولها وأعلاها وأساسها، هو حقيقة الدين ومفتاح دعوة الرسل، قال الله -تعالى-: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

والإخلاص: هو أساس قبول الأعمال وردها، فهو الذي يؤدي إلى الفوز أو الخسران؛ فإن تحقيقه يؤدي إلى الفوز والنجاة، والإخلال به يؤدي إلى النار والهلاك.

معنى الإخلاص: مَن خلص خلوصًا، أي صفي وزال عنه شوبه، وقد تنوعت عبارات السلف فيه، ومنها:

١- أن يكون العمل لله -تعالى-، لا نصيب لغير الله فيه.

٢- تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين.

٣- نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق.

٤- استواء عمل الظاهر والباطن.

٥- ألا تطلب على عملك شاهدًا إلا الله، وإذا داوم عليه الإنسان رزقه الله الحكمة.

مِن أقوال السلف حول الإخلاص:

- سئل سهل بن عبد الله رحمه الله: «أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب، فمع الإخلاص تُنسى حظوظ النفس».

- وقال يوسف بن أسباط رحمه الله: «تخليص النية مِن فسادها أشد على العاملين مِن طول الاجتهاد».

- وقال يوسف بن الحسين رحمه الله: «كم أجتهد في إسقاط الرياء من قلبي؛ فينبت لي على لون آخر».

واعلم -أخي رحمني الله وإياك- أن للإخلاص علاماتٍ، منها:

١- الحماس للعمل لدين الله.

٢- أن يكون عمل السر أكثر مِن عمل العلانية.

٣- المبادرة للعمل واحتساب الأجر.

٤- الصبر على إخفاء العمل.

٥- الصبر والتحمل وعدم التشكي.

٦- إتقان العمل في السر.

٧- الإكثار مِن العمل في السر.

تنبيه: متى يكون إظهار العمل مشروعًا؟!

قال ابن قدامة رحمه الله: «فصل في بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات... وقال: وفي الإظهار فائدة الاقتداء، ومِن الأعمال ما لا يمكن الإسرار به: كالحج، والجهاد، والمظهِر للعمل ينبغي أن يراقِب قلبه؛ حتى لا يكون فيه حب الرياء الخفي، ولا ينبغي للضعيف أن يخدع نفسه بذلك، ومثل الذي يظهره

وهو ضعيف كمثل إنسان سباحته ضعيفة فنظر إلى جماعة مِن الغرقى؛ فرحمهم فأقبل إليهم فتشبثوا به وغرقوا جميعًا!».

فيا أخي... هذه أيام وليالي العمل الكثير؛ فاجتهد أن يكون خالصًا لله -تعالى-.

نسأل الله الإخلاص في القول والعمل.



الموعظة الثالثة والعشرون

مِن أعمال القلوب... التوكل

أمر الله -تعالى- عباده بالتوكل عليه، وحثَّ على ذلك في مواضع كثيرة، قال الله -تعالى-: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، وقال -تعالى-: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال -تعالى-: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقال -تعالى-: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال -تعالى-: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، وقال -تعالى-: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال النبي ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

تعريف التوكل: هو الاعتماد والتفويض، يُقال: وكل فلان فلانًا فيما عجز عنه هو ليقوم به.

قال ابن القيم رحمه الله: «التوكل نصف الدين والنصف الثاني إنابة، فإن الدين استعانة وعبادة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة».

وقال: «ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل مِن مكانه وكان مأمورًا بإزالته؛ لأزاله!».

حقيقة التوكل: قال الزبيدي: «الثقة بما عند الله، واليأس مما في أيدي الناس».

أخي... -اعلم رحمني الله وإياك-: أن تاريخ المتوكلين على الله عز وجل مليء بالصور المشرقة، ومن ذلك:

- لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في وادٍ أثناء السفر علَّق سيفه في شجرة ونام تحتها، وتفرَّق الناس في الوادي يستظلون في الشجر، فلم يتنبهوا إلا والنبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم، فأتوه، فإذا بشخص وسيف ساقط،

فقال النبي ﷺ: «إِنَّ رَجُلاً أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلا وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللهُ، قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ» ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ [متفق عليه].

(فَشَامَ السَّيْفَ): رده في غمده.

- ولما دخل النبي ﷺ الغار في الهجرة، وخاف أبو بكر على النبي ﷺ مِن جموع المشركين الباحثة عنه، قال له سيد المتوكلين: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا» [متفق عليه]، وقد سجَّل القرآن هذا المشهد العظيم في قوله -تعالى-: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

- ولما ترك إبراهيم عليه السلام هاجر أم إسماعيل -عليهما السلام- عند البيت؛ امتثالاً لأمر ربه -تعالى-، قامت إليه تسأله: «**يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا**» [رواه البخاري]. وفي بعض الروايات: «أن جبريل جاءها بعد انصراف إبراهيم عليه السلام فقال لها: لمن وكلكما؟ قالت: إلى الله. فقال: قد وكلكِ إلى كافٍ».

- فالله الله في أحوال المتوكلين الذين تعلقت قلوبهم بمولاهم، فكفاهم أمر دنياهم ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

واعلم -رحمني الله وإياك- أن للمتوكلين مقامات:

- **أدناها:** أن يكون كالطفل الصغير مع أمه، كلما أصابه مكروه صرخ: «أماه»؛ لأنه لا يعرف غيرها.

- **وأعلاها:** أن يكون بين يدي ربه مستسلمًا كما هو حال الميت مع مغسله.

فاللهم ارزقنا حسن التوكل عليك.



الموعظة الرابعة والعشرون

أعمال القلوب... الرجاء

قال النبي ﷺ: «لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ ﷻ» [رواه مسلم].

ومدح الله ﷻ المؤمنين العاملين بما كان منهم مِن رجاء رحمته إذا عملوا، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٧].

تعريف الرجاء:

فالرجاء هو الاستبشار بجود الله وفضل الرب -تعالى-، والارتياح لمطالعة كرمه ومنته، فيعمل المؤمن العمل ويرجو القبول مِن الله، وإذا أذنب الذنب تاب ورجا التوبة وقبولها مِن الله.

الفرق بيْن الرجاء والتمني:

- **الراجـــي:** كمـن يـشق أرضـه ويفلحهـا ويبـذرها ويرجـو طلوع الزرع.

- **والمـتمني:** كحـال مَـن يتمنـى أن يكـون لـه أرض يبـذرها ويأخذ زرعها.

- وجاء في بعض الآثـار: «لـيس الإيـمان بـالتمني، ولكـن ما وقر في القلـب وصـدقه العمـل، وإن قومًا ألـهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا مِن الدنيا ولا حسنة لهم، ويقولـون: نحـن نحسن الظـن بـالله، فلـو أحـسنوا الظـن لأحـسنوا العمـل»، فالرجـاء لا يصح إلا مع العمل.

مَن هم أهل الرجاء؟!

١- يرجون قبول أعمالهم: قال الله -تعالى-: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

٢- يرجون مغفرة ذنوبهم: قال الله -تعالى- في الحديث القدسي: «**يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلا أُبَالِي**» [رواه الترمذي، وصححه الألباني]، وقال -تعالى-: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

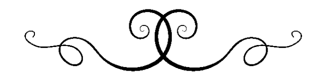
ما جاء في الرجاء من الكتاب والسنة:

قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، قال علي رضي الله عنه: «هي أرجى آية في كتاب الله». وقيل هي: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قرأ النبي صلى الله عليه وسلم قول الله في إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقوله في عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ

ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع يده وقال: «**اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**»، وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «**يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟**» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: «**يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلا نَسُوءُكَ**» [رواه مسلم].

فاللهم إنا نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، ونسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار.



الموعظة الخامسة والعشرون


أعمال القلوب... الخوف

تعريف الخوف:

كلمة الخوف تدل على الذعر والفزع في اللغة العربية.

قال ابن قدامة رحمه الله: «اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل، مثال ذلك: مَن جنى على مَلِك جنايةً، ثم وقع في يده فهو يخاف القتل، ويجوز العفو، فالخوف: مطالعة القلوب لعظيم عقاب الله ونقمته ممن عصاه، فيتولد في القلب الخوف».

أخي... -اعلم رحمني الله وإياك-: أن الله قد أوجب على عباده الخوف منه، قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال -تعالى-: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

- وامتدح الله أهل الخوف، فقال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون].

- قال الحسن رحمه الله: «عمِلوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم».

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: (لا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لا تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]» [رواه الترمذي، وصححه الألباني].

- وجعل الله التخويف مِن عذابه أحد مهمات الرسل: قال الله -تعالى-: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الأنعام:٤٨]، وجمع النبي ﷺ قومه على الصفا وقال: «أَرَأَيْتكُمْ لَوْ أَخبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: مَا

جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» [متفق عليه].

واعلم -رحمني الله وإياك- أن للخوف ثمراتٍ عظيمة في الدنيا والآخرة، منها:

١- أنه مِن أسباب التمكين في الأرض، وزياد الإيمان والطمأنينة: قال الله -تعالى-: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم].

٢- يَبْعث على العمل الصالح والإخلاص فيه: قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان]، وقال -تعالى-: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور].

٣- يجعل الإنسان في ظل عرش الرحمن: قال النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» [متفق عليه].

٤- من أسباب المغفرة: قال النبي ﷺ: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ» وفي رواية قال: «مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ» [متفق عليه].

٤- طريق إلى الجنة: قال النبي ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ

الْجَنَّةُ» [رواه الترمذي، وصححه الألباني]، وقال -تعالى-: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

٥- أمان يوم القيامة: قال الله -تعالى- في الحديث القدسي: **«وَعِزَّتِي لا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»** [رواه ابن حبان، وقال الألباني: حسن صحيح].

٦- يقمع الشهوات: قال الله -تعالى-: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

٧- يجلب الرضا من الله: قال -تعالى-: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨].

مِن أحوال الخائفين:

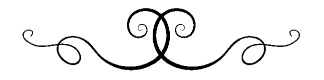
رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزل قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، قرأها النبي ﷺ ذات يوم على أصحابه؛

فخر فتى مغشيًا عليه، فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده، فإذا هو يتحرك، فقال: «**يا فتى، قل: لا إله إلا الله**» فقالها، فبشره بالجنة، فقالوا: أمن بيننا يا رسول الله؟ قال«**أوَما سمعتم قوله -تعالى-:** ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾» [رواه الحاكم، وضعفه الألباني].

منهج العبادة بيْن الخوف والرجاء:

أخـي... اعلم كذلك أن العبادة الصحيحة لا بد فيها مِن اجتماع الخوف والرجاء، فكما أن العبادة لا تصلح بالرجاء وحده، كذلك لا تصلح بالخوف وحده، عن أنس رضي الله عنه قال: دخل النَّبِي عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ: «**كَيْفَ تجدك؟**» قَالَ: أَرْجُو اللهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ**» [رواه الترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني].

فاللهم اجعل لنا مِن خشيتك ما يحول بيننا وبيْن معاصيك، ومِن طاعتك ما تبلغنا به جنتك.





الموعظة السادسة والعشرون

أعمال القلوب... الصبر

أخي -اعلم رحمني الله وإياك- أن الله أمر عباده بالصبر، فقال -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

- وبيَّن الله -تعالى- عظيم أجر الصابرين فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [الزمر: ١٠].

- وجعل الصبر عونًا، وأمر بالاستعانة به، فقال: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥].

- ووعد الله المؤمنين بالنصر والظفر، وهي كلمته التي سبقت لهم، نالوها بالصبر، فقال -تعالى-: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

- وجعل محبته لأهل الصبر فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

[آل عمران: ١٤٦]

- وجعل الصبر على المصائب مِن عزم الأمور، فقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

- وكذلك بيَّن الرسول ﷺ فضل الصبر، وأنه ضياء، فقال ﷺ: «**وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**» [رواه مسلم].

- وبيَّن أن العبد إذا ابتلى بما يكره فصبر كان له الأجر العظيم، فقال: «**قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ ثُمَّ صَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ**» يُرِيد عَيْنَيْهِ. [رواه البخاري].

- **تعريف الصبر:** الصبر هو حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود، وشق الثياب ونحوها.

أنواع الصبر:

الصبر على أنواع ثلاثة:

١- صبر على طاعة الله: قال -تعالى-: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥].

٢- وصبر عن معصية الله: قال -تعالى-: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ [يوسف: ٣٣].

٣- وصبر على أقدار الله المؤلمة: قال الله -تعالى-: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

أنواع الناس في الصبر:

الأول: أهل الصبر والتقوى، وهم الذين أنعم الله عليهم مِن أهل السعادة في الدنيا والآخرة، صبروا على طاعته، وصبروا على ترك محارمه.

الثاني: أناس عندهم تقوى بلا صبر، فقد يكون هناك رجل عابد، زاهد قوام، صوام، متصدق، وغير ذلك، لكن إذا نزلت به المصيبة، ينهار ولا يصبر.

الثالث: عندهم نوع مِن الصبر بلا تقوى، مثل بعض الفجار، جلدون يصبرون على ما يصيبهم، ككثير مِن اللصوص وقطاع الطرق، يصبرون على الآلام والمشاق لنيل

الحرام، وكذلك طلاب الرئاسة والعلو يصبرون على أنواع مِن الأذى لا يصبر عليها أكثر الناس لنيل ذلك!

مِن قصص الصابرين:

١- صبر نوح عليه السلام: قال الله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]، لقد كان عليه السلام كل هذا الزمان يتعرض للأذى والصد، والتكذيب والسخرية، والاتهام بالجنون، وهو يقابل كل ذلك بالصبر!

٢- صبر أيوب عليه السلام: قال الله -تعالى-: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص].

قال علماء التفسير: كان أيوب رجلًا كثير المال والولد، فسلب منه ذلك جميعه، وابتلي في جسده بأنواع مِن البلاء، لم يبقَ منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله بهما، وهو في

ذلك كله صابر محتسب، ولم يزد هذا كله أيوب عليه السلام إلا صبرًا واحتسابًا، وحمدًا وشكرًا، حتى إن المثل ليضرب بصبره عليه السلام.

٣- صبر نبينا محمد عليه السلام: اشتد أذى الكفار له، وكثرت تهمتهم له بالكذب والسحر والجنون، ووضعوا له الشوك، وأخرجوه مِن بلده، وقتلوا بعض أصحابه، فصبر ﷺ، وكان يصبِّر أصحابه، ويقول لهم: «**صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**» [رواه الحاكم، وصححه الألباني].

الأسباب المعينة على الصبر:

أخي.. هناك أمور كثيرة تعين على الصبر، ومنها:

١- معرفة طبيعة الدنيا، وما جبلت عليه مِن المشقة والعنت: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٤].

٢- الإيمان بأن الدنيا كلها ملك لله، يعطي مَن يشاء ويمنع مَن يشاء؛ لحكم كثيرة يريدها سبحانه وتعالى، فعند ذلك يصبر العبد ويسلِّم، ويكون لسان حاله ومقاله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

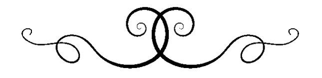
٣- الثقة بحصول الفرج، مع الثبات على طاعة الله: قال الله -تعالى-: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

٤- الاستعانة بالله وطاعته: قالها موسى عليه السلام لقومه يصبرهم: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

٥- الإيمان بالقضاء والقدر: قال -تعالى-: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢].

أخي.. إن منزلة الصبر مِن أعظم منازل الدين، فهو الجواد الذي لا يكبو، والحصن الذي لا يهدم، فهو والنصر أخوان شقيقان، كما قال العدنان صلى الله عليه وسلم: «**وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ**» [رواه أحمد، وصححه الألباني].

فاللهم اكتبنا عندك مِن الصابرين، واجعلنا لنعمك مِن الشاكرين.





الموعظة السابعة والعشرون
أعمال القلوب... الورع

الورع شرعًا هو: ترك ما يريبك، ونفى ما يعيبك، والأخذ بالأوثق، وحمل النفس على الأحوط، وهو كذلك: اجتناب الشبهات، ومراقبة الخطرات.

وعرفه ابن القيم رحمه الله بقوله: «ترك ما يُخشى ضرره في الآخرة».

- وقد جمع النبي ﷺ الورع في كلمة واحدة، فقال: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ**» [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني].

فهذا يعم الترك لما لا يعنيه مِن الكلام، والنظر والاستماع، والبطش والمشي والفكر، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة؛ فهذه الكلمة شافية وافية في الورع.

وقال بعض السلف: كنا ندع سبعين بابًا مِن الحلال مخافة أن نقع في الحرام!

أخي... الورع منزلة عظيمة تجنِّب المسلم الوقوع في محارم الله والاجتراء على حدوده.

قال النبي ﷺ: «الحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ» [متفق عليه].

واعلم أخي -رحمني الله وإياك- أن الورع يكون على مراتب وأحوال:

الأولى: الكف عن المحرمات، وهذا واجب على الناس كافة.

الثانية: الامتناع عن الشبهات، وهذا مستحب، ولا يفعله إلا عدد قليل مِن الناس.

الثالثة: الكف عن كثير مِن المباحات، والاقتصار على أقل الضرورات، وذلك للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

واعلم -رحمني الله وإياك-: أنه لا بد للمتورع مِن العلم؛ وإلا وقع في كثير مِن الأخطاء والوساوس فلا يمكن التورع بغير علم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «تمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين وشر الشرين، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها؛ وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك مِن المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية، فقد يدع الواجبات ويفعل المحرمات، ويرى ذلك مِن الورع!».

مِن صور الورع:

ورع النبي صلى الله عليه وسلم:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتورع عن التمرة يجدها في بيته: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إِنِّي لأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً، فَأُلْقِيهَا**» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**كِخْ كِخْ**» لِيَطْرَحَهَا ثُمَّ قَالَ: «**أما شَعرت أَنا لا نَأْكُل الصَّدَقَة؟**» [متفق عليه].

- ورع الصديق رضي الله عنه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ لأَبِي بَكْرٍ غُلامٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الغُلامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإِنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الكِهَانَةَ، إِلا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ!» [رواه البخاري].

- ورع الفاروق رضي الله عنه: عن نافع قال: «فَرَضَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لِلْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ أَرْبَعَةَ آلافٍ، وَفَرَضَ لابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ثَلاثَةَ آلافٍ وَخَمْسَ مِائَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: هُوَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَلِمَ نَقَصْتَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ آلافٍ؟! فَقَالَ: إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبَوَاهُ يَقُولُ: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ» [رواه البخاري].

- ورع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: عن نافع أن عبد الله رضي الله عنه سمع صوت مزمارة راع مِن بعيد، فجعل يعدل براحلته عن الطريق ويمشي بسرعة واضعًا إصبعيه في أذنيه وهو يقول: يا

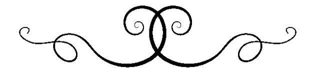
نافع... أتسمع؟ فأقول: نعم، فيمضي على حاله واضعًا إصبعيه في أذنيه حتى قلت: لا، فوضع يديه، وأعاد راحلته إلى الطريق!

وهكذا الورع أخي في الله... ينتج عن الخوف مِن الله، فالورع ثمرة الخوف، والورع يثمر الزهد، والزهد يثمر الهيبة والوقار.

قال الأوزاعي رحمه الله: «كنا نمرح ونضحك، فلما صرنا يقتدي بنا، خشيتُ أن لا يسعنا التبسم!».

والإنسان إذا تورع لن يعدم الحلال، ولا يظن أنه سيضيق على نفسه ضيقًا لا مخرج منه، فإنه يلتمس الورع الشرعي مثلما تقدم تفصيله.

نسأل الله أن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، وأن يغفر لنا ذنوبنا أجمعين.



الموعظة الثامنة والعشرون

زكاة الفطر

عن ابن عمر رضي الله عنهما: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى العَبْدِ وَالحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلاَةِ» [متفق عليه].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ» [متفق عليه].

وقال سعيد بن المسيب، وعمر بن عبد العزيز -رحمهما الله- في قوله -تعالى-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى] «هو زكاة الفطر».

أخي.. إن زكاة الفطر يُراد بها الصدقة عن البدن والنفس بعد رمضان لما وفقها الله -تعالى- للصيام والقيام، وتطهيرًا

لها مِن كل ما لحق بها مِن لغو ورفث أثناء الصيام، وقد أضيفتْ هذه الزكاة إلى الفطر؛ لأنها تجب بالفطر مِن رمضان.

واعلم -أخي- أن مِن أحكام زكاة الفطر ما يأتي:

- أنها واجبة على كل حر وعبد، وذكر وأنثى مِن المسلمين فضل عن قوته يوم العيد وليلته؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما المتقدم.

- لا يمنع وجوبها دين إلا مع طلب.

- أنها تكون على كل مَن تلزمك نفقته؛ لعموم حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِصَدَقَةِ الْفِطْرِ عَنِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَالْحُرِّ وَالْعَبْدِ مِمَّنْ تَمُونُونَ» [رواه الدارقطني والبيهقي، وحسنه الألباني].

- إن لم تجد ما يكفي لجميعهم، بدأت بنفسك؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**ابْدَأْ بِنَفْسِكَ**» [رواه مسلم]، ثم زوجتك، فرقيقك، فأمك، فأبوك، فولدك، فأقرب في ميراث؛ لقوله النبي صلى الله عليه وسلم: «**وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**» [متفق عليه]، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «**أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ**» [رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني].

- ويستحب أن تُخرج عن الجنين؛ لفعل عثمان رضي الله عنه .

- لا يلزم الزوج فطرة زوجة ناشر وقت الوجوب، ولا يلزم الزوج فطرة الزوجة غير المدخول بها.

ثم اعلم أخي -رحمني الله وإياك- أن هناك أحكام تتعلق بوقت وجوبها:

- فتجب زكاة الفطر بغروب شمس ليلة الفطر؛ لقول ابن عباس رضي الله عنهما : «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَ الصِّيَامِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ» [رواه أبو داود وابن ماجه، وحسنه الألباني].

- أن مَن أسلم بعد الغروب أو تزوج بعد الغروب؛ فلا فطرة عليه، وإن وجد ذلك.

- أن مَن مات قبل الغروب أو أعسر، أو أبان الزوجة، أو اعتق العبد أو باعه أو وهبه؛ لم تلزمه.

- والأفضل إخراجها يوم العيد قبْل الصلاة؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما وفي آخره: «وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلاَةِ».

- وتجزي قبْل العيد بيوم أو بيومين؛ لقول ابن عمر رضي الله عنهما: «وَكَانُوا يُعْطُونَ قَبْلَ الفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ» [رواه البخاري].

- ويحرم تأخيرها عن يوم العيد مع القدرة، ويقضيها مَن أخرها؛ لأنه حق مالي واجب، فلا يسقط بفوات وقته كالدين.

واعلم أخي -رحمني الله وإياك- أن هناك أحكامًا تتعلق بمن يخرج زكاة الفطر:

- فالواجب على كل شخص صاع مِن طعام مما يصلح للقوت: كالأرز، والدقيق، والتمر، ونحو ذلك؛ لقول ابن عمر رضي الله عنهما: «كُنَّا نُخْرِجُ إِذْ كَانَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ، عَنْ كُلِّ صَغِيرٍ، وَكَبِيرٍ، حُرٍّ أَوْ مَمْلُوكٍ، صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ أَقِطٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ» [رواه مسلم].

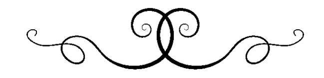
- لا تخرجها قيمة خروجًا مِن خلاف العلماء، وتمسكًا بالأصل.

واعلم -رحمني وإياك- أن هناك أحكامًا تتعلق بمن تخرج له:

- فهي تُعطى لمن ذكرهم الله في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠].

- ويجوز أن يُعطِي الجماعة فطرتهم لواحد، وأن يعطي الواحد فطرته لجماعة؛ لأن النبي ﷺ قدَّر الواجب، ولم يقدِّر مَن يدفع إليه.

نسال الله أن يتقبل منا ومنكم.



الموعظة التاسعة والعشرون
صيام التطوع بعد رمضان

عن أبي ايوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام رمضان ثم اتبعه ستًا من شوال، كان كصيام الدهر**» [رواه مسلم وابو داود والترمذي] وعن ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**من صام ستة ايام بعد الفطر، كان تمام السنة، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**» [صحيح: رواه ابن ماجه وصححه الالباني].

أخي.. اعلم رحمني الله وإياك.. أنه إذا كان صيام رمضان قد انقضى، فإن الصيام لا يزال مشروعًا في غيره من الشهور، ولقد كان استحباب صيام أيام من شوال دليل على صدق الصائم في رمضان.

فالمؤمن المحب للصيام، يحزن لفراق شهر الصيام، لكن السلوى لقلبه والعزاء لحزنه، ببقاء صيام التطوع بعد رمضان.

أخي.. رغبنا النبي ﷺ في صيام التطوع وبين فضله وأجره لأمته. ولقد شغلت أيام صيام التطوع بقية عام المسلم

المنتظر عودة رمضان مرة أخرى، وقد ورد عنه ﷺ الاحاديث الكثيرة التى تدل على فضل صيام التطوع: فعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**من صام يومًا في سبيل الله، بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا**» [متفق عليه] وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا حذيفة من ختم له بصيام يوم دخل الجنة**» [صحيح: رواه البزار وصححه الالباني] وعن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «**من صام يومًا في سبيل الله باعد الله منه جهنم ميرة مائة عام**» [حسن: رواه النسائي وحسنه الالباني].

أخي.. إليك بيان الايام التى يستحب صيامها:

١- صوم عشرة ذي الحجة: لحديث ابن عباس رضي الله عنه مرفوعًا: «**ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله، من هذه الأيام العشر**» [رواه البخاري].

وعن حفصة رضي الله عنها قالت: «أربع لم يدعهن رسول الله ﷺ: صيام عاشوراء، والعشر، وثلاثة أيام من كل شهر، والركعتين قبل الغداة» [رواه أحمد والنسائي].

٢- صوم يوم عرفة: لحديث أبى قتادة رضي الله عنه مرفوعًا: «**صوم يوم عرفة يكفر سنتين، ماضية ومستقبلة، وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية**» [رواه الجماعة إلا البخاري والترمذي].

٣- صوم المحرم: عن ابي هريرة قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أى الصيام أفضل بعد رمضان؟ قال: «**شهر الله الذي تدعونه المحرم**» [رواه مسلم].

٤ - صوم يوم عاشوراء: قال صلى الله عليه وسلم: «**إن كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع**» [رواه مسلم].

وفي رواية: «**لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر**».

٥ - صوم الاشهر الحرم: (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب) قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شق على نفسه في الصيام: «**صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك**».

٦- صوم الاثنين والخميس: عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم**» [صحيح: رواه الترمذي وصححه الالباني].

٧- الصوم لمن شق عليه الزواج وخشى العزبة: عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع النبي ﷺ فقال: «**من استطاع الباءة فليتزوج، فإنة أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» [رواه البخاري].

٨ - صوم اكثر شعبان: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ أستكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثر منه صيامًا في شعبان» [رواه البخاري].

٩- صوم يوم ويوم: لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود. كان يصوم يومًا، ويفطر يومًا**» [متفق عليه].

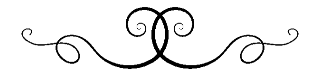
١٠- صوم أيام البيض: وهى: (ثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشر) لقول أبى هريرة رضي الله عنه: أوصانى خليلى ﷺ بثلاث: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر،وركعتى الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام» [متفق عليه]. وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر، إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة**» [حسنه الترمذي].

أخي.. اعلم رحمنى الله وإياك.. أن العبادات بعد رمضان غير مقصورة على صيام التطوع فحسب، بل هناك عبادات هي من الثوابت التى لا تتغير بعد رمضان، كالصلاة والزكاة والصدقة، وكذا الدعاء لنفسك والمؤمنين، ناهيك عن ثابت التوبة المطلوبة فى كل حين، والتى أمرنا الله بها فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النـور: ٣١].

وكان النبى ﷺ يتأولها بقوله: «**إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم مائة مرة**».

أخـي.. إذا عرفت هذه الأمور كلها، فما عليك إلا أن تلزم..ولقد ذقت طعم العبادة فى رمضان ولذة القرب من الله، فلا تعكرن هذا الصفو بالكدر.وإن البقاء على الطاعة والثبات عليها، نعمة عظيمة، ثبتنا الله وإياك عليها، وقد كان سيد الخلق يدعو ربه ويقول: «**يا مقلب القلوب، ثبت قلبى على دينك**» [صحيح: رواه أحمد].

فاللهم يا مثبت القلوب، ثبت قلوبنا على دينك.



الموعظة الثلاثون

وداعًا رمضان

قال الله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

أخي... صدق ربنا -تبارك وتعالى- لما سمَّى رمضان (أيَّامًا) وكما قالوا: كل معدود قليل.

وها هو شهر رمضان قد عزم على الرحيل، فمن كان منا فرط فيه، فليختمه بالحسنى، فإنما الأعمال بالخواتيم، وبادر -رحمك الله- أوقات الشهر الباقية، واستدرك ما مضى منه بالحسرة والندم، واختمه بالتوبة النصوح، والرجوع إلى صالح العمل.

أخي... كم أناس صلوا في هذا الشهر صلاة التراويح، وأوقدوا في المساجد طلبًا للأجر المصابيح، ونسخوا بإحسانهم كل فعل قبيح.

وكم مِن صائم يفضحه الحساب والعرض!

وكم مِن عاص في هذا الشهر تستغيث منه الأرض...!

فيا ليت شعري.. مَن المقبول منا؛ فنهنيه على توفيق الله له بحسن عمله.

ويا ليت شعري... مَن المطرود؛ فنعزيه بسوء عمله.

فيا أيها المقبول... هنيئًا لكَ بثواب الله -تعالى- ورضوانه، ورحمته وغفرانه، وقبوله وإحسانه، وعفوه وامتنانه.

أخي... لقد ظل المسلمون جميعًا شهرًا كاملًا ينالون مِن نفحات ربهم، يُرون الله مِن أنفسهم خيرًا، متقلبين في ذلك بيْن دعاء وصلاة، وذكر وصدقة، وتلاوة للقرآن، ولكن سرعان ما نقضت الأيام وتلاشت الذكريات، وكأنها أوراق الخريف عصفت بها الريح على أمر قد قدر، وإلى الله المصير.

سلام مِن الرحمن كل أوان
على خير شهر قد مضى وزمان

سلام على شهر الصيام فإنه
أمان مِن الرحمن أي أمان

فإن فنيت أيامك الغر بغتة
فما الخسران مِن قلبي عليك بفان

أخـي... كيف لا تجري للمؤمن على فراقه دموع، وهو لا يدري هل بقي في عمره لديه رجوع؟!

أين حرقة المجتهدين في نهاره؟!

أين قلق المتهجدين في أسحاره؟!

ولكن... عزائي أنا وأنت لفراق خير الأيام وانصراف أشرف الليالي، أن الله ﷻ لم يجعل للطاعة زمنًا محدودًا، وللعبادة أجلًا معدودًا، فقال -تعالى-: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩].

فيجب على النفوس أن تسير على نهج الهدى والرشاد بعد رمضان، فعبادة رب العالمين ليست مقصورة على رمضان، وليس للعبد منتهى مِن العبادة دون الموت، وبئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان!

أخـي... إن للقبول والربح في هذا الشهر علاماتٍ، وللخسارة والرد أمارات...

فمِن علامة قبول الحسنة، فعل الحسنة بعدها، ومِن علامة السيئة السيئة بعدها؛ فأتبع الحسنات بالحسنات تكن علامة

على قبولها، وأتبع السيئات بالحسنات تكن كفارة لها ووقاية مِن خطرها، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

واعلم -رحمني الله وإياك- أن مدار السعادة في طول العمر، وحسن العمل، يقول النبي ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ**» [رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني].

ومداومة المسلم على الطاعة مِن غير قصر على زمن معين، أو شهر مخصوص، أو مكان مخصوص، أو مكان فاضل مِن أعظم البراهين على حسن الاستقامة، وقبول العمل.

واعلم -رحمني الله وإياك-: أن يوم العيد يوم سعيد، يسعد فيه أناس، ويشقى فيه آخرون؛ فطوبى لعبد قُبِلت فيه أعماله، قال النبي ﷺ: «**لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ**» [متفق عليه]؛ فاحمد الله على بلوغ ختام الشهر الفضيل، وسله قبول الصيام والقيام والصدقات.

كان السلف رضي الله عنهم يرون أن مَن مات عقب عمل صالح كصيام أو حج أو عمرة، يرجى له أن يدخل الجنة.

فيا شهر رمضان غير مودع ودعناك، وغير مقلي فارقناك.

كان نهارك صدقة وصيامًا، وليلك قراءة وقيامًا!

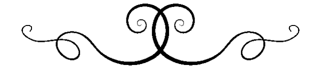
فعليك منا تحية وسلامًا.

يا شهر الصيام أتراك تعود بعدها علينا، أو تدركنا المنون فلا تؤول إلينا؟!

مصابيحنا فيك مشهورة، ومساجدنا فيك معمورة.

فالآن تنطفئ المصابيح، وتنقطع التراويح؛ فوداعا يا شهر التراويح!

فاللهم أعد علينا رمضان أيامًا عديدة، وشهورًا مديدة، وتقبل منا الصيام والقيام وصالح الأعمال.



فهرس الموضوعات